الفلسفة

ملخص الدروس

شعبة الرياضيات والعلوم التجريبية



- السؤال بين المشكلة والإشكالية
- آليات التفكير المنطقي
- فلسفة العلوم
- العلاقة بين الناس (التنافر والتجاذب) :
- الشعور بالأنا والغير
- الحرية والمسؤولية
- العنف والتسامح
- ...

من إعداد :
أ. زروقي ثامر

3 ثانوي
AS

دار البدر
للطباعة والنشر والتوزيع
الجزائر

معنا .. تجدون دائما الأفضل

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين له سيدنا محمد الذي بعث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين أما بعد:

إن هذا الكتاب دليل ينير الطريق لأبنائنا وبناتنا طلبة السنة الثالثة من التعليم الثانوي، المقبلين على إمتحان شهادة البكالوريا في شعبتي الرياضيات والعلوم التجريبية وهو مطابق للمنهاج الرسمي الجديد لوزارة التربية الوطنية سواء من حيث الأهداف أو المحتويات. ويحتوى هذا المؤلف على وضعيات تعليمية منجزة في إشكاليات فلسفية (دروس ملخصة) أي مادة معرفية هامة من شأنها أن تكسب طلبتنا الكرام كفاءات تمكنهم من الإطلاع على البرنامج.

فالهدف من إعداد هذا الكتاب أن يكون أداة أو وسيلة فعالة للإلمام بجمىع الإشكاليات الفلسفية المطابقة للبرنامج والمنهاج الجديد المعدل وزاريا، وتنمـ القدرات العقلية وتوسيع مدارك الطلبة وتحصيلهم لكم ثقافي فلسفي يكون بمثابة القواعد لبناء التفكير الفلسفي لديهم. ويساعد الطلبة في التحضير الجيد وتهيئتهم للإختبارات الفصلية ولإمتحان شهادة البكالوريا خاصة.

أسأل الله عز وجل أن يوفق تلاميذنا، ويجعل من نصيبهم النجاح والفلاح في امتحان البكالوريا، وأن يسدد خطانا وخطاهم فيما يحب ويرضى والله الموفق إلى كل خير.

الأستاذ: زروقي ثامر

الوحدة التعليمية الأولى: في السؤال بين المشكلة والاشكالية

المشكلة الجزئية الأولى: في السؤال والمشكلة

تمهيد:

يعيش الإنسان في محيط طبيعي وبشري فهو مضطر لكي يصون بقاءه إلى التكيف مع هذا المحيط، وتحقيق أفضل تلاؤم معه. وعملية التلاؤم تقتضي بالضرورة معرفة والمعرفة بدورها تقتضي الكشف عن حقيقة الأشياء والإجابة على التساؤلات المطروحة، فيا ترى ما المقصود بالسؤال؟

* مفهوم السؤال:

عرف عامة بالاستفسار أما لغة هو ما يطلب أو ما يسأل أما من الناحية الاصطلاحية يعبر عن استدعاء المعرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة.

ما دام السؤال مرتبط بالمعرفة فله عدة صور تتمثل فيما يلي:

ا - فقد يكون السؤال للاستفهام والاستعلام مثل هل التاريخ علم؟ هل العلم نافع؟

ب - وقد يكون للتعريف والتبيين والتوضيح مثل: يا مريم أنى لك هذا؟قالت:هو من عند الله.

ج - وقد يدل على الاعتراض لنفي الحكم الذي ادعاه المدعي مثل لماذا هذا التبذير؟

وعليه يتضح أن الأسئلة ليست على شاكلة واحدة فهي تختلف من الإنسان العامي إلى الفقيه إلى الباحث إلى الفيلسوف... وكل حسب قدراته ومنهجه، وما يصبو إليه من هدف ومن ثمة تتنوع الأسئلة وتتعدد أصنافها.

* أنواع الأسئلة:

إن المستقرئ لحياة البشر يلاحظ تعدد الأسئلة لدى الناس فهي تشمل أنواعا تتمثل فيما يلي:

أولاً. الأسئلة البسيطة (المبتذلة) والمكتسبة: هي نوع من الأسئلة التي تتحكم فيها ظروف الحياة اليومية للإنسان وما ألفه واعتاد عليه من فعل ورد فعل للتواصل مع الآخرين،

بطريقة، بطريقة عفوية أو تلقائية يلعب فيها التقليد دورًا أساسيًا فهي أسئلة تتحكم في الإجابة عنها العادة أو المألوف، مثل من هو العم؟ هو أخ الأب. من هو الجد؟....

أما الأسئلة المكتسبة هي التي يتعلمها ويحصلها الفرد من معطيات علمية مضبوطة يتلقاها ويحفظها ثم يوظفها في تعاملاته. وتتحكم في الإجابة عنها التجريب العلمي مثل: ما هو سبب سقوط الأجسام؟ ما هو سبب تبخر الماء؟....

ثانيًا. الأسئلة العملية وهي نوع من الأسئلة تضع الإنسان في مواقف عملية حرجة تدعو إلى توجيه الفكر، وتحريك الذكاء لإيجاد حلول عملية ووظيفته مناسبة بوضعيات أو مواقف صعبة قصد التكيف والتأقلم معها.

ثالثاً. الأسئلة الانفعالية وهي نوع من الأسئلة تأخذ بصميم أحوال النفس وأفعالها، وما تثيره من توتر وقلق نفسي وعقلي ملؤه الدهشة والتعجب والإحراج، مقترنا بعملية يقظة فكرية، ينهض معها الإنسان بكيانه كله، مواجها مختلف القضايا والمشكلات الدينية والاجتماعية والفلسفية والعلمية. والملاحظ أن هذه الأسئلة الانفعالية وما تحمله من مميزات نجدها تظهر بوضوح في حياة المفكرين وأعمال العلماء والفلاسفة، فهذا "باسكال" - رياضي وفيلسوف فرنسي - يتساءل في تأملاته عن حقيقة وضعه في الوجود: لماذا كانت معرفتي محدودة؟ لماذا فرضت علي هذه القامة القصيرة؟ لماذا حدد عمري؟

ونفس الحال بالنسبة للفيلسوف اليوناني سقراط فقد حملته روحه الفلسفية على التجوال في شوارع وأسواق مدينة أثينا يحاور الناس ويسألهم عن الحق والعدل والفضيلة والصداقة وغيرها في تساؤلات مستمرة لا يكف عن إثارتها محاولا إيجاد إجابة عنها. والحال أيضا بالنسبة للعالم الفيزيائي إسحاق نيوتن، لم تكفه نظرياته التي درسها حول سقوط الأجسام ولا تجاربه المخبرية بل ليبقى يحمل همه العلمي ويعايشه في كل لحظة.. حتى يكتشف له الأمر مع سقوط التفاحة ثم قام بصياغة قانون الجاذبية. فالأسئلة الانفعالية هي أسئلة تتحكم في الإجابة عنها التوتر النفسي والعقلي نظرًا لارتباطها بقضايا متعددة. وإذا أمعنا النظر في أصناف الأسئلة لاستخلصنا ما يلي:

1 - صنف من الأسئلة في متناول كثير من الناس هي أسئلة مبتذلة بسيطة ومكتسبة وعملية.

2 - صنف من الأسئلة في متناول العلماء تسمى بالأسئلة العلمية.

3 - صنف من الأسئلة في متناول الفلاسفة تسمى بالأسئلة الفلسفية.

وإذا تجاوزنا الصنف الأول ووقفنا عند الصنفين الأخيرين نجدهما يدخلان ضمن الأسئلة الانفعالية التي تعبر عن حالة التوتر النفسي والقلق الفكري والحيرة التي يعانيها العلماء والفلاسفة إلى التساؤل المستمر حول الإنسان ومختلف قضايا الوجود وهنا نجد أنفسنا أمام قاسم مشترك بين السؤال العلمي والسؤال الفلسفي فيا ترى ما الفرق بينهما؟

أن السؤال العلمي مجاله عالم المحسوس (عالم الطبيعة) وفي زوايا متفرقة لأن ميدان العلم يختلف بعضه عن بعض بالظواهر التي يبحث فيها فهذا علم الفلك مثلاً: يبحث في الأجرام السماوية أو الكواكب وحركتها وعلم الفيزياء يبحث في الضوء والحرارة والكهرباء... والكيمياء يبحث في المعادن والأجسام العضوية...

فالسؤال العلمي إذن يتخذ من ظواهر الطبيعة الجزئية مجالا له لأنها تخضع للحواس ويطمئن إلى الحقائق التي يصل إليها عن طريق التجريب لمعرفة قوانينها، في حين أن السؤال الفلسفي يتناول كل الظواهر في شكلها الشامل فهو لا يهتم بالجزئيات بل يقوم على النظرة الشاملة للحياة والكون والإنسان فهو سؤال يتسم بالتعمق في التفسير والتعليل وتأمل ما وراء المبادئ واستكشاف أصولها، إنه تساؤل عن الحياة وفي الحياة وما وراءها والتعبير عن أدق مجالاتها وإثارة أعمق مستويات التفكير الإنساني فهو تساؤل يخاطب العقل ويوجه إلى البحث عن الأسباب القصوى والمبادئ الأولى للأشياء.

ومن شروط السؤال الفلسفي ما يلي:

- أن يتضمن قضية فكرية عالمية أو إنسانية.
- أن يتضمن مفارقات تدفع الباحثين إلى إيجاد حلول لها.

نتيجة:

ونستنتج مما سبق ذكره بأن السؤال يعتبر ضرورة فكرية، يحمل في طياته كثيرا من التنوع بحسب مجالات المعرفة وحقولها، له وظيفة يقوم بها وهي السعي إلى إمكانية حل أو البث في القضية المطروحة وتشخيص مصدر الإعجاز أو الحيرة في القضية وكذلك تهذيب المواقف وهذه وسيلة أو أداة تمكن الباحث أو الإنسان العادي من دراسة القضايا للوصول إلى حقيقتها.

• علاقة السؤال بالجواب:

ضبط الإشكالية: يا ترى هل يصح القول دائما بأن لكل سؤال جوابا؟

- الموقف الأول:

يؤكد بعض الباحثين والعلماء أن الأسئلة ليست على شاكلة واحدة فهي تختلف من الإنسان

العامي إلى الباحث العالم إلى الفقيه إلى الفيلسوف...، وكل بحسب منهجه وقدراته وما يصبو إليه من هدف فهي أنواع لذلك يجعلنا نجزم يقينا بأنه من الصعب القول دائماً أن لكل سؤال جوابًا.

فإذا تمكنا في واقع الحال من الإجابة عن كثير من أسئلة القضايا العملية التي تواجهنا، وسبر ما ألفنا واعتدنا عليه وكذلك معرفة جواب ما إكتسبناه وتعلمناه وهذا يبرز في مجال الأسئلة البسيطة والمكتسبة والعملية.

فالأسئلة البسيطة والمكتسبة هي نوع من الأسئلة التي تتحكم فيها ظروف الحياة اليومية للإنسان، وما ألفه واعتاد عليه من فعل ورد فعل للتواصل مع الآخرين بطريقة عفوية تلقائية يلعب فيها التقليد دورًا أساسيًا مثل: ما اسمك؟

أين تدرس؟...، يضاف إلى هذا ما يتعلمه الفرد وما يكتسبه من معطيات علمية مضبوطة يتلقاها، ويحفظها ثم يوظفها في تعاملاته مثل لماذا يتبخر الماء؟ كيف تتمدد المعادن؟

أما الأسئلة العملية وهي نوع من الأسئلة التي تضع الإنسان في مواقف عملية محرجة تدعو إلى توجيه الفكر وتحريك الذكاء لإيجاد حلول عملية ووظيفته مناسبة لوضعيات ومواقف صعبة قصد التكيف والتأقلم معها.

المناقشة:

غير أن الأمر عكس ذلك أي أنه لا يصح القول أن لكل سؤال جوابًا، إذا ارتقينا أكثر فوق هذه المستويات وصولاً الأسئلة الانفعالية، التي تجعل الإنسان حائرًا مندهشا أمام بحر من تساؤلات عن الحياة والكون وما تحمله من صور: الخير والشر ولذة وألم وشقاء وسعادة ومصير... وغيرها من الأسئلة التي تنبثق من صميم وجودنا وتعبر عن وضعيات مستعصية ومسائل مغلقة وتناقضات محيرة، نقف أمامها ننتظر الجواب وتبقى كمشكلات عالقة تبحث عن حلول، وهذا ما يعبر عنه الفلاسفة في تساؤلاتهم الكبرى وما تحمله من مشكلات.

- الموقف الثاني:

ويؤكد البعض الآخر أنه ليس لكل سؤال جوابا دائما وهذا يتجلى في الأسئلة الانفعالية التي هي نوع من الأسئلة تأخذ بصميم أحوال النفس وأفعالها، لما تثيره من توتر وقلق نفسي وعقلي ملؤه الدهشة والتعجب والإحراج، مقترنا بعملية يقظة فكرية ينهض معها الإنسان بكيانه كله مواجها مختلف القضايا والمشكلات الدينية والاجتماعية والفلسفية والعلمية.

والملاحظ أن هذه الأسئلة الانفعالية وما تحمله من مميزات نجدها تظهر بوضوح في حياة المفكرين وأعمال العلماء والفلاسفة، فهذا "باسكال" – رياضي وفيلسوف فرنسي – يتساءل في تأملاته عن حقيقة وضعه في الوجود: لماذا كانت معرفتي محدودة؟ لماذا فرضت علي هذه القامة القصيرة ؟ لماذا حدد عمري؟

ونفس الحال بالنسبة للفيلسوف اليوناني سقراط فقد حملته روحه الفلسفية على التجوال في شوارع وأسواق مدينة أثينا يحاور الناس ويسألهم عن الحق والعدل والفضيلة والصداقة وغيرها في تساؤلات مستمرة لا يكف عن إثارتها محاولا إيجاد إجابة عنها.

والحال أيضا بالنسبة للعالم الفيزيائي إسحاق نيوتن، لم تكفه نظرياته التي درسها حول سقوط الأجسام ولا تجاربه المخبرية بل ليبقى يحمل همه العلمي ويعايشه في كل لحظة.. حتى يكتشف له الأمر مع سقوط التفاحة ثم قام بصياغة قانون الجاذبية.

فالأسئلة الانفعالية هي أسئلة تتحكم في الإجابة عنها التوتر النفسي والعقلي نظرًا لارتباطها بقضايا متعددة.

المناقشة:

إن التاريخ والواقع يؤكدان بأن الإنسان يملك القدرة على إيجاد الحلول لجميع القضايا المطروحة في عالمه الخارجي لأنه يملك قدرات عقلية من ذكاء وذاكرة وتخيل وإدراك... الخ، وله من الأدوات أو الوسائل ما يسهل عليه إيجاد الإجابات لجميع الأسئلة إذا بذل مجهودا كبيرا في ذلك ولا تتوقف إجابته عند الأسئلة البسيطة المبتذلة أو العملية لأن هذا الصنف من الأسئلة يستطيع العوام إيجاد إجابة له ونحن نعرف الفروق الموجودة بين الإنسان العادي (العامي) والإنسان العالم والفيلسوف.

النتيجة:

نستنتج مما سبق ذكره أن مقولة لكل سؤال جوابا، تنطبق على صنف الأسئلة البسيطة (المبتذلة) والمكتسبة التي هي نوع من الأسئلة التي تتحكم فيها ظروف الحياة اليومية للإنسان وما ألفه واعتاد عليه من فعل ورد فعل للتواصل مع الآخرين، بطريقة، بطريقة عفوية أو تلقائية يلعب فيها التقليد دورًا أساسيًا فهي أسئلة تتحكم في الإجابة عنها العادة أو المألوف، مثل من هو العم؟ هو أخ الأب، من هو الجد؟ أو صنف الأسئلة المكتسبة هي التي يتعلمها ويحصلها الفرد من معطيات علمية مضبوطة يتلقاها ويحفظها ثم يوظفها في تعاملاته. وتتحكم في الإجابة عنها التجريب العلمي مثل: ما هو سبب سقوط الأجسام؟ ما هو سبب تبخر الماء؟ وإذا كانت كذلك من صنف الأسئلة العملية التي هي نوع من

الأسئلة تضع الإنسان في مواقف عملية حرجة تدعو إلى توجيه الفكر، وتحريك الذكاء لإيجاد حلول عملية ووظيفته مناسبة بوضعيات أو مواقف صعبة قصد التكيف والتأقلم معها. أما الأسئلة الانفعالية التي تشمل ما هو علمي وما هو فلسفي يصعب أحيانا إيجاد إجابة لها وبالتالي ينطبق عليها القول أنه ليس لكل سؤال جوابا.

• مفهوم المشكلة:

إن المشكلة عامة هي القضية أو المسألة مثلاً عندما نقول المشكلة الفلسطينية أو العراقية أي القضية أو المسألة الفلسطينية أو العراقية أما لغة فهي الأمر الصعب، الملتبس، المشتبه أما اصطلاحا فالمشكلة هي القضية المبهمة المستعصية غير الواضحة الحل ويعرفها "جميل صليبا" في معجمه بأنها مرادفة للمسألة التي يطلب حلها بإحدى الطرق العقلية أو العملية فنقول: المشكلات الاقتصادية والمسائل الرياضية: ويذكر "جميل صليبا" عن الجرجاني في كتابه التعريفات: أن المشكل هو ما لا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب. وهذا المعنى يجعلنا نفهم أن المشكلة مسألة أو قضية تتحدد بمجالات مختلفة: اجتماعية أو علمية أو فلسفية... تحمل موضوعا تعبر عنه بمضامين فكرية بحسب الحقل المعرفي الذي تكون فيه، فهذا الفيلسوف الألماني "فريديريك نيتشه" مثلا يقول: إن كبريات المشاكل تملأ الشوارع. أي أن الحياة الاجتماعية مليئة بالمشاكل الأخلاقية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

ويتضح من هنا أن المشكلة مسألة متعددة الميادين لا يمكن حصرها في مجال دون آخر ونشير هنا على الخصوص إلى المشكلة العلمية وارتباطها بالسؤال العلمي ومميزاته. فهو المعبر عنها من جهة موضوعها ومنهجها وهدفها وكذلك المشكلة الفلسفية وفهمها مرتبط بحقيقة السؤال الفلسفي وما يحمله من خصوصيات في تناول الموضوعات وتحليل القضايا وتحديد الغايات.

• - العلاقة بين السؤال والمشكلة:

نلاحظ الارتباط الوثيق بين السؤال والمشكلة. فما طبيعة العلاقة بينهما؟

• - يكون كل سؤال مشكلة إذا كان قضية مستعصية عن الحل وهذا يتجلى في صنف الأسئلة الانفعالية التي تأخذ بصميم النفس وأفعالها، بما تثيره من توتر وقلق نفسي وعقلي ملؤه الدهشة والتعجب والإحراج مقترنا بعملية يقظة فكرية ينهض معها الإنسان بكيانه كله موجها مختلف القضايا الدينية والاجتماعية والفلسفية. والملاحظ أن هذه الأسئلة الانفعالية وما تحمله من مميزات نجدها تظهر بوضوح في حياة المفكرين وأعمال العلماء

والفلاسفة فهذا سقراط فقد حملته روحه الفلسفية على التجوال في شوارع وأسواق مدينة أثينا يحاور الناس ويسألهم عن الحق والعدل والفضيلة والصداقة وغيرها في تساؤلات مستمرة لا يكف عن إثارتها هذا باسكال يتساءل في تأملاته عن حقيقة وضعه في الوجود: لماذا كانت معرفتي محدودة؟ لماذا فرضت علي هذه القامة القصيرة؟ لماذا حدد عمري؟ ونفس الحال عند العلماء فهذا نيوتن لم تكفه نظرياته التي درسها حول سقوط الأجسام ولا تجاربه المخبرية بل ليبقى يحمل همه العلمي ويعايشه في كل لحظة.. حتى تكشف له الأمر مع سقوط التفاحة ثم قام بصياغة قانون الجاذبية.

فالأسئلة الانفعالية تعبر عن حالة التوتر النفسي والقلق الفكري والحيرة التي يعايشها العلماء والفلاسفة والتي تدفعهم إلى التساؤل المستمر حول قضايا الوجود والتي تحول بدورها إلى مشكلات تطلب حلولا.

- لكن ليس بالضرورة التصريح: بأن كل سؤال مشكلة لأن الأسئلة المبتذلة البسيطة لا تتطلب جهدا في حلها لأنها لا تثير فينا دهشة ولا إحراجا ولا حيرة وكل ما في الأمر العادة والمألوف هي أساس المعرفة لها. فهي - أي الأسئلة المكتسبة المبذولة - لا تضع الإنسان في مواقف حرجة ولا تدعو إلى توجيه الفكر وتحريك الذكاء لإيجاد حلول لها ومن ثمة لا تحمل مشكلة حقيقية.

لكن الواقع يؤكد أن كثيرا من الناس يجدون صعوبة في حل الأسئلة البسيطة والعملية وهذا راجع إلى مستوى قدراته العقلية وتحصيلهم المعرفي لذلك لا يمكن قبول أن المشكلات لها علاقة فقط بالأسئلة الانفعالية.

التنيجـة:

نستنتج مما تقدم أن علاقة السؤال بالمشكلة من الصعب الحكم عليها لأنها تظهر بكيفيات وصور متعددة فلا هي تتابع وبالتالي ويتتالى بشرط ومشروط ولا هي تعاكس وإنما يمكن أن تكون علاقة نسبية ويمكن التأكيد أنه قد يتبادر إلى ذهن البعض أن المشكلة وجب ترتبط دائما بالسؤال الذي يحملها ويوجهها، وأنها لا تظهر إلا في شكل سؤال استفهامي يبحث عن حل - هذا ممكن أحياناً - لكن الأمر ليس كذلك دائما، فقد تبرز المشكلة وتؤسس لنفسها كمسألة عالقة في الذهن مغلقة ومحيرة، دون صيغ تساؤلية استفهامية مثل قولنا: اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة.

■ المشكلة الجزئية الثانية: في المشكلة والإشكالية

مفهوم الإشكالية:

عرفت الإشكالية عند جميل صليبا في معجمه بأنها مأخوذة من "الإشكال" عند الفلاسفة صفة لقضية لا يظهر فيها وجه الحق ويمكنها أن تكون صادقة إلا أنه لا يقطع بصدقها والإشكالية عند أندريه لالاند في قاموسه: هي على وجه الخصوص سمه حكم أو قضية قد تكون صحيحة (ربما تكون حقيقية) لكن الذي يتحدث لا يؤكدها صراحة فهي المعضلة الفلسفية التي تثير نتائجها الشكوك وتتسع مسائلها ويصعب الإقرار بها بحكم على أمر ما سواء بالنفي أو الإثبات أو هما معًا.

لهذا فالإشكاليات معضلة أساسية، تضيق فيها الخطط لما تحمله من الانسداد، إذا يحتاج إلى أكثر من علاج، وتستوجب مقاربتها أكثر من رأي وأكثر من زاوية نظر.

العلاقة بين المشكلة والإشكالية:

أولا: مواطن الاختلاف أو أوجه التباين:

- إن المشكلة عبارة عن تساؤل مؤقت يستدرك جوابا مقنعا، أما الإشكالية فإنها عبارة عن طرح تساؤل دائم موجه نحو القضايا الصعبة في هذا الوجود والإجابة تكون غير مقنعة.
- إن المشكلة هي قضية جزئية أقل اتساعًا، ومحصورة وأكثر ضيفا، تحدث في الذات اضطراب ودهشة تعبر عنها في سؤال جزئي أما الإشكالية فهي قضية كلية وعامة أكثر اتساعًا وتثير قلقا وإحراجا أكبر، كما أن الحلول فيها غير مقنعة لأنها تقبل أكثر من رأي ومن ثمة يبقى مجال حلها مفتوحا للبحث والنظر، ونعبر عنها في سؤال جوهري كلي.
- فالمشكلة تثير اضطرابا لدى الإنسان من زاوية الدهشة أما الإشكالية فتثير اضطرابا عنده من زاوية الإحراج.
- إن المشكلة هي عبارة عن فرع بينما الإشكالية فتمثل الأصل.

ثانيا: مواطن الاتفاق أو أوجه التشابه:

1. كلاهما يبحث عن الحقيقة.
2. كلاهما يمكن أن يأتي في صيغة استفهامية.
3. كلاهما آليتان غامضتان ومبهمتان.
4. كلاهما نابع من القلق والإثارة تجاه ظاهرة ما.
5. كلاهما ناتج عن الإرادة والحافز تجاه عوائق أو عقبات ما.

ثالثا: مواطن التداخل (ذكر التأثير المتبادل بينهما):

إن المشكلة هي الجزء من الإشكالية التي تعتبر في الكل، وكما مثل بعض المفكرين: الإشكالية عبارة عن مظلة تسع لكل المشكلات، كمشكلة المنطق والأخلاق والطبيعيات وما بعد الطبيعة أو الميتافيزيقا إذن هناك تداخل وطيد الصلة بينهما.

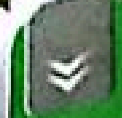
تحديد طبيعة العلاقة:

ومما تقدم أن الإشكالية هي الكل والمشكلة هي مجموعة الأجزاء المعبرة عنها كعلاقة المجموعة بعناصرها، وكأن الإشكالية هي المظلة التي تنطوي تحتها مجموعة المشكلات تناسبها والعلاقة بينهما هي تداخل، علاقة الكل بالجزء كعلاقة الإنسان بالحياة فهما تعمق الإنسان في هذا الوجود فإنه يجد نفسه في ما لا نهاية من الغموض تجاه الظواهر المطروحة في هذا الوجود.

هل في الفلسفة نتحدث عن مشكلة أم إشكالية؟

إن السؤال الفلسفي هو الذي يبين لنا متى نتحدث عن المشكلة ومتى نصل فيه إلى درجة الإشكالية ومتى نتحدث عنهما معا؟

- إن السؤال الفلسفي قد يتحدث عن المشكلة إذا أحدث فينا توترا ودهشة وكان يحمل قضية واحدة يمكن حلها.
- قد يطرح إشكالية إذا أحدث فينا قلقا وإحراجا وكان يحمل أطروحتين أو أكثر من ذلك.
- قد يطرح مشكلة وإشكالية في نفس الوقت إذا صعب الحل وأوصلنا السؤال المطروح إلى طريق مسدود وإذا احتوى على المتناقضات التي تنتج عنها حيرة وتوترا وقلقا وإحراجا لذلك وجب علينا الإهتمام بالفلسفة والبحث في قضاياها ومشكلاتها وإشكالاتها للوصول بعد ذلك إلى إيضاح الحقيقة ومعرفة المتناقضات من الأفكار فيها أو على الأقل الإلمام بماهية المشكلات والإشكاليات التي تحتويها ووجب أن تكون لدينا الرغبة في معرفة الكثير عنها وعن صور المتقابلات فيها والأدوات أو الوسائل المنطقية التي تجعلنا نميزها عن بعضها البعض.



** - صور التقابل والتعارض:

مفهوم التقابل: من الناحية المنطقية يكون بين تصورين أو قضيتين بينهما إختلاف في الكم أو الكيف أو الكم والكيف معا، يشمل ما يلي:

* إدراك التناقض: هو نوع من التقابل يكون بين تصورين أو أطروحتين مختلفتين كما وكيفا مثل قولنا أبيض ولاأبيض، أ ولا أ.

* إدراك التضاد: هو نوع من التقابل يكون بين تصورين أو قضيتين مختلفتين من ناحية الكيف مثل الموت والحياة، الخير والشر، الكراهية والمحبة.

* إدراك التعاكس: هو تبديل أحد أطراف القضية فيصبح المحمول موضوعا والموضوع محمولا. مثلا: القضية كل طالب ناجح عكسها بعض الطلبة ناجحون.

* إدراك التنافر: هو التعارض بين قضيتين لا يمكن الحكم بالصدق عليهما معا، وهو يعبر عن صور الحدود المتقابلة سواء بين الأجزاء أو الكليات فالتضاد تنافر والتناقض تنافر والتعاكس تنافر.

نتيجة عامة:

هل الدراسات الفلسفية لها حدود ونتائج نهائية؟ الحقيقة الفلسفية التي لا اختلاف حولها هي أن العديد من المسائل والقضايا التي تبحث فيها الفلسفة تبقى بدون حل خاصة التي تتعلق بالأمور الميتافيزيقية أو بمسائل ما وراء الطبيعة لذلك نجد السؤال الفلسفي أهم من الجواب وهذا ما أكده الفيلسوف كارل ياسبرس الذي قال: "إن الأسئلة في الفلسفة أهم من الأجوبة ويجب أن يتحول كل جواب إلى سؤال جديد" فالبحث الفلسفي مستمر ودائم ومتجدد شبيه بمياه نهر متدفق. ومنه نستخلص بأن الفلسفة كانت وما تزال نوعا من التفكير متميزا لا ينتج حقائقا ثابتة وإنما حقائقا متغيرة تختلف من فيلسوف إلى آخر ومن عصر إلى عصر آخر.

الوحدة التعليمية الثانية: في آليات التفكير المنطقي

تمهيد:

يصطدم الإنسان في بيئته الاجتماعية بالعديد من العقبات أو العوائق لا يتمكن من تجاوزها، والمعرفة التي بدورها تنشأ إما عن الممارسة والاحتكاك اليومي بالأشياء وإما عن تفكير منظم يدرس ويحلل ويستنتج، ولا ريب فإن هذا يحتاج إلى المنطق.

ضبط الإشكالية: ماهو مفهوم المنطق؟ وكيف يمكن للفكر أن ينطبق مع نفسه؟ وكيف يمكنه أن ينطبق مع الواقع؟ وهل تصويب الفكر بمطابقته لنفسه أم بمطابقته للواقع؟

▪ المشكلة الجزئية الأولى: بين المبدأ والفكر

مفهوم المنطق:

إن المنطق عامة هو كل ما يطابق الواقع والعقل إن المنطق يعرف في اللغة العربية بأنه كلمة مشتقة من النطق وهو الصفة الدالة على الإنسان المميزة له عن الحيوان كما أن كلمة Logique في بعض اللغات الأجنبية مشتقة في الأصل من كلمة Logos اليونانية الدالة على العقل والكلام وعلى هذا الأساس يكون الإنسان قد طابق منذ القديم بين الفكرة والكلمة ووحد بين اللغة والعقل حين اعتبرهما حقيقة واحدة فعندما نقول الإنسان حيوان ناطق فإننا نعني بذلك أنه حيوان عاقل وكأننا نعني في الوقت ذاته، الوظيفة التي يتميز بها وهي الكلام أو النطق المرتبط بالعقل كما نعتبر أن الكلام له علاقة بالفكر لذلك كانت مهمة المنطق هي البحث عن جملة القواعد التي تجعل الإنسان لا ينطق لغوا ولا يجانب الحقيقة والصواب عندما يصدر حكما من الأحكام. وعرفه العرب والمسلمون بأنه لفظ مأخوذ من المصدر: النطق الذي ينقسم إلى قسمين:

- النطق الداخلي وهو التفكير ويقصد به مخاطبة الإنسان لذاته.
- النطق الخارجي وهو وهو الكلام ويقصد به مخاطبة الإنسان للغير.

أما من الناحية الاصطلاحية فيرى أرسطو طاليس أن المنطق هو الأرغانون أو الآلة التي

تعصم العقل من الوقوع في الخطأ، أما ابن سينا فيعرفه بأنه الصناعة التي تعرفنا في أي الصور والمواد يكون الحد الصحيح الذي يسمى بالحقيقة حد والقياس الصحيح الذي يسمى بالحقيقة برهانا، أما أبو حامد الغزالي فيعرفه بأنه: معيار العلوم وميزانها أما أبو نصر الفارابي فيرى أنه: الصناعة التي تعطي بالجملة القوانين التي شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات.

وحدات المنطق الأرسطي ومباحثه:

يشمل المنطق التقليدي ثلاثة مباحث هي:

أولا: مبحث الحدود والتصورات:

معنى التصور: عامة هو التوهم أو ما لا يطابق الواقع أما لغة فهو من الفعل تصور بمعنى تخيل أو أنشأ صورا جديدة لم تكن موجودة في العالم الخارجي أما من الناحية الاصطلاحية فهو مجموعة من المعاني تجري في الذهن خالية مما هو حسي، مثلا تصور أن ما يترتب عن النار هو دخان ورماد... الخ.

معنى الحد: هو الفاصل عامة أما من الناحية اللغوية فيعني منتهى الشيء ومنطقيا هو الرداء اللفظي للتصور يمكن أن يكون لفظا واحدا انتهى معناه أو لفظين أو أكثر. مثلا: محمد: لفظ واحد يدل على حد واحد، طه حسين: لفظين يدلان على حد واحد. ديوان المبتدأ والخبر للعرب والعجم والبربر ولمن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: عدة ألفاظ تدل على حد واحد.

المفهوم والماصدق: يعرف المفهوم بأنه مجموعة من الصفات يتميز بها موضوع من الموضوعات عن البقية مثلا مفهوم المربع: هو شكل هندسي له أربعة أضلاع متساوية وأربع زوايا متقايسة. أما الماصدق فهو مجموعة من الأشياء أو الموضوعات أو الأفراد تتميز بجملة من الخلال أو الصفات، مثلا: صفة إنسان تصدق على محمد وعلى وأفلاطون وعائشة...الخ. العلاقة بين المفهوم والماصدق هي علاقة عكسية فكلما زاد المفهوم قل الماصدق وكلما قل المفهوم زاد الماصدق.

التعريفات: هي أقوال شارحة دالة على ماهية الشيء أو على الصفات العرضية أو هي أقوال تحدث في الذهن التباسًا أو خلطًا لما تحمله من غموض وتعقيد وهي نوعان:

ا - التعريفات اللامنطقية تشمل ما يلي:

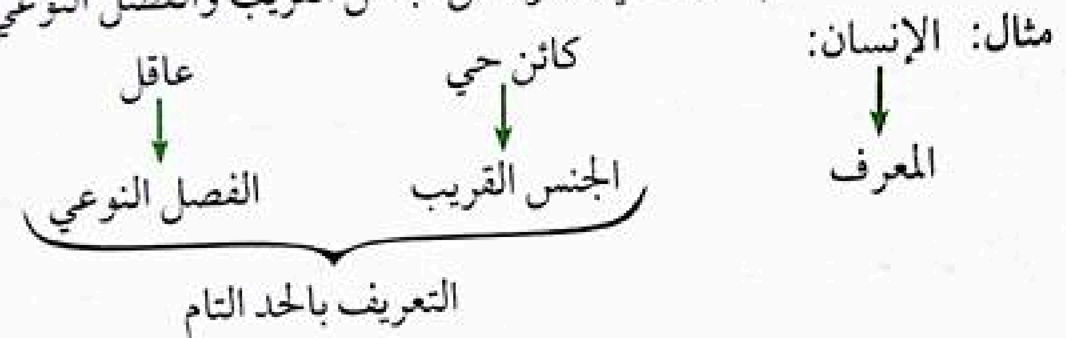
1. تعريف الشيء بنفسه. مثال: ما هو الماء؟ هو الماء.
2. التعريف بالمراد ف. مثال: ما الخوف؟ هو الوجل.

3. التعريف بالإشارة. مثال: ما الثانوية؟ هذه الثانوية.
4. التعريف المجازي. مثال: ما الأسد؟ هو ملك الغابة.
5. التعريف الغامض. مثال: ما الجوهر؟ هو الحد الذي لا يحده حد.
6. التعريف بالنفي أو بالسلب. مثال: ما هو الخير: هو ما ليس شرًا.
7. التعريف بالمثال. مثال: ما هي الفاكهة؟ التفاح فاكهة.
8. التعريف بالتضايف. مثال: من هو الابن؟ من له أب.
من هو الأب؟ من له ابن.

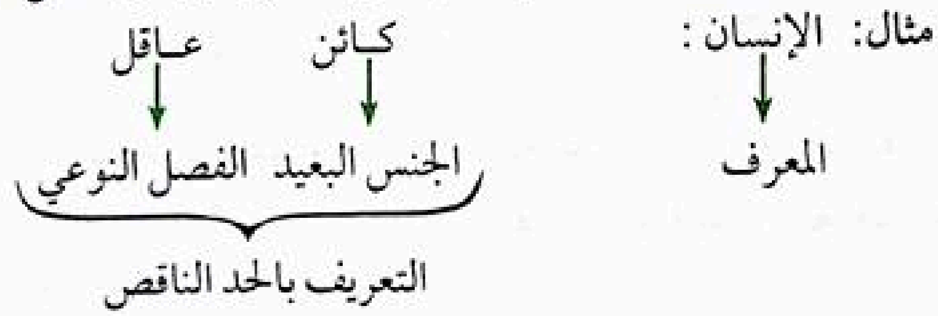
ب - التعريفات المنطقية: هي أقوال شارحة دالة على ماهية الشيء (الصفات الجوهرية أو الذاتية) أو دالة على الصفات العرضية وتشمل نوعان هما:

1 - التعريف بالحد: وهو قول شارح دال على ماهية الشيء يتضمن ما يلي:

1 - التعريف بالحد التام: هو الذي يتكون من الجنس القريب والفصل النوعي.

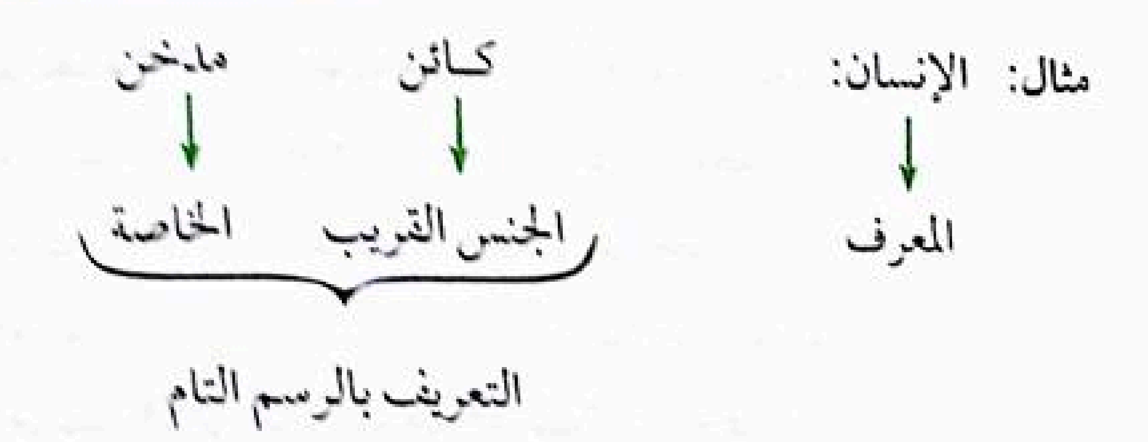


أ) التعريف بالحد الناقص : هو الذي يتكون من الجنس البعيد والفصل النوعي .

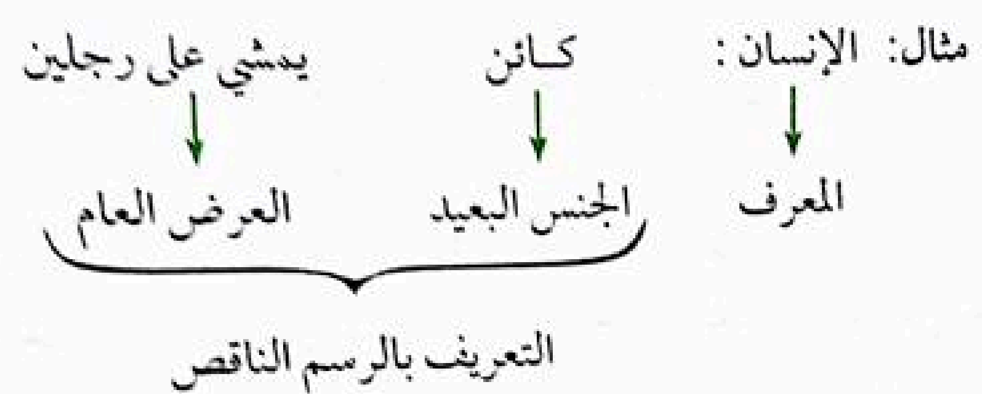


2 - التعريف بالرسم: وهو قول شارح دال على الصفات عرضية للشيء يشمل ما يلي:

ا - التعريف بالرسم التام: هو الذي يتكون من الجنس القريب والخاصة.



ب - التعريف بالرسم الناقص: هو الذي يتكون من الجنس البعيد والعرض العام.



وحتى يكون التعريف المنطقي تاما يجب أن نلتزم فيه بجملة من الشروط أو القواعد وهي تتمثل فيما يلي:

أولاً: يجب أن يكون دالاً: على ماهية الشيء أي على الصفات الجوهرية أو الذاتية للشيء المعرف وليس دالا على الصفات العرضية.

ثانيًا: يجب أن يتكون التعريف التام من الجنس القريب والفصل النوعي.

ثالثا: يجب أن لا يذكر المعرف داخل التعريف.

رابعًا: يجب أن لا يكون لا منطقيًا أي لا يكون تعريفا بالإشارة أو بالمرادف أو بالمثال أو

خامسًا: يجب أن يكون جامعًا مانعا أي ملما أو محيطا بجميع صفات المعرف ومانعا أي لمنع أن يشترك مع هذا المعرف معرفات أخرى معه في هذه الصفات.

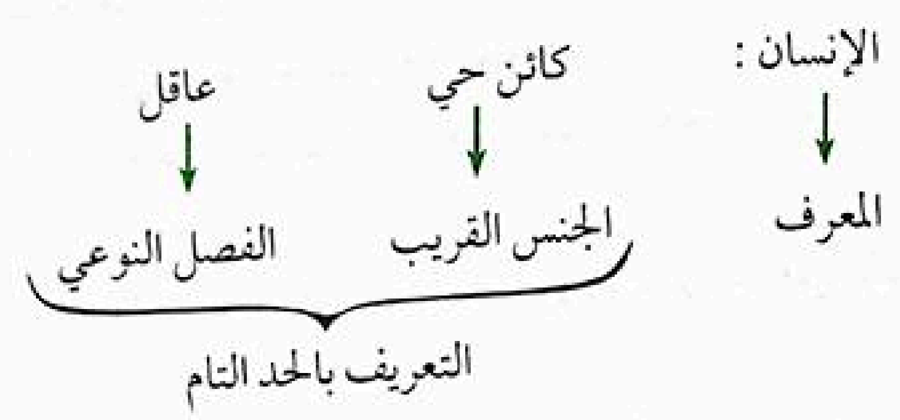
سادسًا: يجب أن يكون واضحًا.

سابعًا: ينبغي أن يكون التعريف مساويًا للشيء المعرف.

ثامنا: أن يكون التعريف ظاهرًا من ألفاظ موجبة لا في ألفاظ سالبة.

وقد ميز أرسطو بين نوعين من التعريفات: تعريف الألفاظ من ناحية وتعريف الأشياء من ناحية أخرى. فتعريف الألفاظ عنده يدل على معناها أما تعريف الأشياء فيدل على ماهيتها.

والمثال الذي يطابق الشروط التي ذكرت سابقا يتعلق بضبط تعريف الإنسان ويكون على النحو التالي:



فهذا التعريف ذكرت فيه جميع الصفات الذاتية (أي الأساسية والجوهرية) للشيء المعرف الذي يرمز إليه اللفظ، بحيث يصبح هذا التعريف جامعًا ومانعًا: جامعًا بحيث ينطبق على جميع أفراد الشيء المعرف ومانعًا بحيث يمنع دخول أي فرد من الأفراد الذين لا ينطبق عليهم هذا اللفظ.

ويقول الغزالي: وقد اختلف الناس عن حد الحد فمن قائل: "حد الشيء هو حقيقته نفسه وذاته" ومن قائل يقول: "حد الشيء هو اللفظ المفسر لمعناه على وجه يجمع ويمنع..."

ونحن نعتقد أن التعريف التام والمناسب هو التعريف الاسمي الموافق للشروط التي سبق ذكرها.

نتيجـة: ومنه نستنتج مما سبق بأن كل لفظ أو شيء قابل للتعريف لا بد أن نتقيد في بجملة من الشروط أو القواعد حتى يكون تاما. وهذه القواعد نستطيع به تحديد المصطلحات والمفاهيم بكل دقة ووضوح حتى يتسنى تمييزها عن بعضها البعض.

ثانيا: مبحث القضايا:

* - تعريف القضية المنطقية: وهي التي يحكم بها بإثبات شيء بشيء أو نفي شيء عن شيءأو هي قول يحتمل الصدق أو الكذب يأتي في صيغة موجبة أو سالبة أو هي الرداء اللفظي للحكم مثال: الزكاة فريضة (قضية منطقية في حالة الإيجاب).

الصلاة ليست سنة (قضية منطقية في حالة السلب).

* - أقسامها: تنقسم القضايا من حيث تركيبها إلى الحملية والشرطية كالآتي:

أ- القضية الحملية البسيطة: وهي التي يحكم بها بإثبات شيء بشيء أو نفي شيء عن شيء أو هي قول يحتمل الصدق أو الكذب يأتي في صيغة موجبة أو سالبة سميت بالحملية نسبة إلى

المحمول فيها وبالبسيطة لأنها تتكون من موضوع ومحمول ورابطة تكون في اللغة العربية مستترة مثلا: كل العلماء أذكياء (قضية حملية بسيطة موجبة تتكون من حد أول موضوع (العلماء) وحد ثان محمولا (أذكياء) ورابطة مستترة تقديرها (هم) ضمير منفصل ويمكن أن تأتي القضية الحملية في حالة السلب مثل ليس كل العلماء تقاة، أيضا تتكون من حدين ورابطة مستترة وهي تشمل أنواعا أربعة تتمثل فيما يلي:

- الكلية الموجبة مثال: الإنسان مبدع، عامة الطلبة ناجحون، جميع العلوم مفيدة.. الخ. رمزها ك م.
- الكلية السالبة مثال: ليس كل الجبابرة خالدون، لا واحد من الكفار في الجنة...الخ رمزها ك س.
- الجزئية الموجبة مثال: محمد رسول الله، بعض الأفلام مفيدة...الخ رمزها ج م.
- الجزئية السالبة مثال: ليس مسيلمة صادقا، ليس جل الأديان سماوية. رمزها ج س.

* - الاستغراق:

تعريفه: اصطلاحا الحد المستغرق هو الذي ينصب فيه الحكم سلبا أو إيجابا على جميع أفراده رمزه (+)، أما الحد غير المستغرق فهو الذي ينصب فيه الحكم سلبا أو إيجابا على بعض أفراده رمزه (−).

* الاستغراق في القضايا الحملية الأربعة:

القضايا / مكوناتها	الموضوع	المحمول
ك م	الحالة الأولى + الحالة الثانية +	+ −
ك س	+	+
ج م	−	−
ج س	−	+

ب: القضية الشرطية:

"ما تركبت من جزأين ربط أحدهما بالآخر بأداة شرط أو عناد".

مثال: إذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود.

والعدد إما زوج وإما فرد.

إذن تتألف القضية الشرطية من قضيتين حمليتين ترتبطان بأداة ربط معينة، تسمى القضية الأولى: "مقدم"، وتسمى القضية الثانية: "تالي".

وعلى أساس الأداة التي تربط بين المقدم والتالي يختلف نوع القضية الشرطية، فهي إما شرطية متصلة، وإما شرطية منفصلة.

ويلاحظ أن تسميتها بالشرطية تمييزاً لها عن القضية الحملية التي هي مطلقة؛ لأن الحكم فيها أطلق بلا شرط أو قيد.

أما القضايا الشرطية فإن الحكم فيها يتوقف على استيفاء شرط معين، فهي مشروطة بهذا الشرط.

ويلاحظ أيضاً أن القضية الحملية التي تدخل في تركيب القضية الشرطية ينتفي كونها قضية مستقلة بارتباطها بالقضية الأخرى؛ إذ إنها تصبح مجرد جزء من قضية أكبر، هي التي يقال عنها إما صادقة وإما كاذبة.

ويلاحظ أيضاً أن القضية الحملية يكون كل طرف من طرفيها مفرداً غير مركب، بينما القضية الشرطية -كما سبق- لا بد أن يكون كل من طرفيها مركباً، ولذلك تسمى القضية الحملية قضية بسيطة، وتسمى القضية الشرطية قضية مركبة. وتفصيل الكلام على نوعي القضية الشرطية على النحو التالي:

القضية الشرطية المتصلة: هي التي يكون الحكم فيها بتعليق أحد طرفيها على الآخر، وهي قضية تتكون من قضيتين حمليتين تربط بينهما واحدة من أدوات الشرط: "إن" و"إذا" و"كلما" ونحوها، وإنما سميت متصلة لاتصال طرفيها -أي مقدمها وتاليها- صدقاً ومعية.

صدقاً: لأنه يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت لازمه.

ومعية: لأنه يلزم من وجود مقدمها وجود تاليها معه في المصاحبة والوجود.

وتنقسم الشرطية المتصلة بحسب الكيف إلى:

شرطية متصلة موجبة: مثال: كلما كانت الشمس ساطعة، كان النهار موجوداً.

شرطية متصلة سالبة: مثال: ليس كلما كانت الشمس طلعة، كان الليل موجوداً.

القضية الشرطية المنفصلة: وهي التي يكون الحكم فيها بالتنافي والعناء أو بسلبه بين طرفيها، وهي تتكون من قضيتين حمليتين بينهما رابطة تفيد معنى الفصل والمباعدة، وتتمثل هذه الرابطة في أداة "إما".

وتنقسم الشرطية المنفصلة أيضاً بحسب الكيف إلى:

شرطية منفصلة موجبة: **مثال:** هذه الزاوية إما حادة وإما منفرجة.

شرطية منفصلة سالبة: **مثال:** ليس إما أن يكون هذا العدد زوجاً وإما منقسماً بمتساويين.

السور في القضية الشرطية:

أولاً: سور القضية الشرطية المتصلة:

هي كل لفظ يدل على الحكم بالمتلازم أو بعدمه في كل الأحوال والأزمان أو بعض الأحوال والأزمان، وعلى ذلك يتنوع بحسب نوع القضية.

فإن كانت الشرطية كلية موجبة: كان سورها يدل على الكم بالتلازم بين المقدم والتالي في جميع الأحوال والأزمان كلفظ: كلما، ومهما، ومتى.

مثال ذلك: كلما كثر مال المرء زاد حبه للمال.

وإن كانت كلية سالبة: كان سورها هو اللفظ الدال على سلب التلازم بين المقدم والتالي في جميع الأحوال والأزمان، وهو "ليس البتة" و"ليس أبداً".

مثال: ليس البتة إذا كان الماء بخاراً كان أثقل من الهواء.

وإن كانت جزئية موجبة: كان سورها يفيد الحكم بالتلازم بين مقدمها وتاليها في بعض الأحوال والأزمان.

ويستعمل لذلك اللفظ "قد يكون".

مثال ذلك: وقد يكون إذا كان الطالب مجداً في دروسه كان ناجحاً في الامتحان.

وإن كانت الشرطية المتصلة جزئية سالبة: كان السور ما يدل على رفع التلازم بين طرفيها في بعض الأحوال والأزمان، ويستعمل لذلك "قد لا يكون" و"ليس كلما".

مثال ذلك: قد لا يكون إذا كان الطالب مجتهداً كان ناجحاً.

ثانياً: سور الشرطية المنفصلة:

يتنوع كذلك سور القضية المنفصلة بحسب أنواعها:

فإن كانت كلية موجبة؛ كان سورها اللفظ الدال على التنافي والتعاند بين طرفيها في جميع الأحوال والأزمان، وهو: "دائماً".

مثال: دائماً إما أن يكون الجو حاراً وإما أن يكون بارداً.

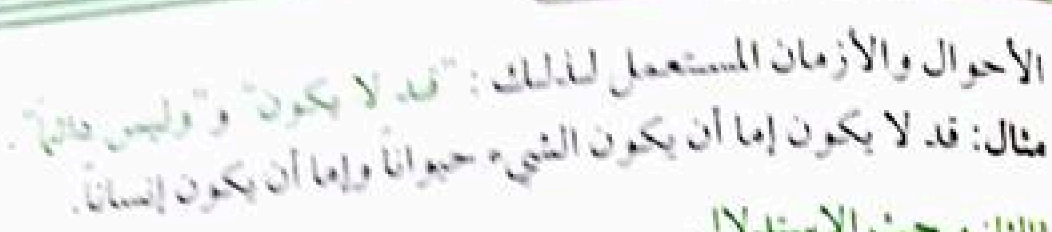
وإن كانت كلية سالبة: كان السور فيها ما دل على سلب التنافي والعناد بين طرفيها في جميع الأحوال والأزمان، ويدل على ذلك باللفظ: "ليس البتة".

مثال: ليس البتة إما أن يكون العدد فرداً أو غير قابل للقسمة على اثنين.

وإن كانت جزئية موجبة: كان السور ما دل على العناد بين المقدم والتالي في بعض الأحوال أو الأزمان، ويدل على ذلك باللفظ: "قد يكون".

مثال: قد يكون إما أن يكون الشيء نامياً وإما أن يكون جماداً.

وإن كانت جزئية سالبة: كان سورها اللفظ الدال على سلب العناد بين مقدمها وتاليها في بعض الأحوال والأزمان، واللفظ الدال على سلب العناد بين مقدمها وتاليها في بعض



الأحوال والأزمان المستعمل لذلك: "قد لا يكون" و"وليس دائماً".
مثال: قد لا يكون إما أن يكون الشيء حيواناً وإما أن يكون إنساناً.

ثالثا: مبحث الاستدلال

تعريف الاستدلال: عرف عند علماء الكلام بأنه طلب الدليل وعند الفقهاء النظر في الدليل أما عند المناطقة فهو طريقة ينتقل فيها الفكر من مقدمة أو مقدمتين أو أكثر إلى نتيجة تلزم عنها بالضرورة يشمل على قسمين هما:

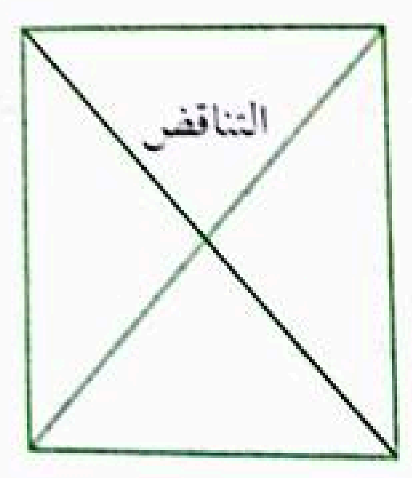
أ - الاستدلال المباشر: هو طريقة للمعرفة ينتقل فيها الفكر من مقدمة واحدة إلى نتيجة تلزم عنها بالضرورة يشمل أنواعا عديدة نأخذ منها ما يلي:

1 - التقابل: هو نوع من أنواع الاستدلال المباشر ينتقل فيه الفكر من مقدمة أو قضية إلى نتيجة تلزم عنها بالضرورة تماثلها في الموضوع والمحمول تختلف عنها كما أو كيفا أو كما وكيفا معا يشمل صورا أربعة هي:

- التقابل بالتضاد ويكون بين قضيتين كليتين مختلفتين في الكيف.
- التقابل بالدخول تحت التضاد ويكون بين قضيتين جزئيتين مختلفتين في الكيف.
- التقابل بالتداخل بين قضيتين مختلفتين في الكم أي بين الكل والجزء.
- التقابل بالتنافر ويكون بين قضيتين مختلفتين كما وكيفا أي بين الكل الموجب والجزء السالب وبين الجزء الموجب والكل السالب.

وإليك جدول التقابل الأرسطي يوضح لك هذه العلاقات التقابلية الأربعة:

كل الطلبة حاضرون ك م التضـــــاد ك س ليس كل الطلبة حاضرون



جل الطلبة حاضرون ج م الدخول تحت التضاد ج س ليس جل الطلبة حاضرون

مربع التقابل الأرسطي

2 - العكس المستوي: هو نوع من أنواع الاستدلال المباشر ينتقل فيه الفكر من قضية إلى قضية أخرى مع تبادل طرفي القضية الأصلية فيصبح الموضوع محمولا والمحمول موضوعا في القضية المعكوسة ويكون ذلك بالتقيد بجملة من القواعد تتمثل فيما يلي:

- قاعدة الكيف: يجب إذا كانت الأصلية موجبة أو سالبة أن توافقها المعكوسة في ذلك.
- قاعدة الاستغراق: يجب أن لا يستغرق حد في المعكوسة ما لم يكن مستغرقا في القضية الأصلية.
- قاعدة الصدق: يجب أن تتفق القضية الأصلية مع المعكوسة في الصدق.

- تطبيق قواعد العكس المستوي على القضايا الحملية الأربعة:

أولا: العكس المستوي للكلية الموجبة: تعكس في الحالة الأولى إلى نفسها، مثال: كل إنسان مفكر قضية أصلية، عكسها: كل مفكر إنسان. أما في الحالة الثانية فتعكس إلى جزئية موجبة حتى تحافظ على قواعد العكس المستوي مثلا: القضية كل إنسان فان تعكس إلى جزئية موجبة بعض الفانين ناس.

ثانيا: العكس المستوي للكلية السالبة: تعكس إلى نفسها. مثلا لا واحد من الناس خالد تعكس إلى نفسها لا خالد هو من الناس.

ثالثا: العكس المستوي للجزئية الموجبة: تعكس إلى نفسها . مثلا: بعض الأفلام مفيدة تعكس إلى نفسها بعض المفيد من الأفلام.

رابعا: العكس المستوي للجزئية السالبة: لا تعكس إلى أي قضية حتى إلى نفسها لأننا إذا عكسناها إلى أي قضية حتى إلى نفسها لا تحافظ على قواعد العكس المستوي.

ب - الإستدلال غير المباشر: هو طريقة ينتقل فيها الفكر من مقدمتين أو أكثر إلى نتيجة تلزم عنها بالضرورة، يشمل على القياس الحملي البسيط والقياس الشرطي فما هو مفهوم كليهما؟

تعريف القياس: عند أهل المنطق هو قول مؤلف من أقوال إذا صحت لزم عنها بذاتها لا بالغرض قول آخر غيرها اضطرار وقيل أنه: قول مؤلف من قضيتين -أو أكثر- يستلزم لذاته قضية أخرى. فخرج بقولهم: "مؤلف من قضيتين" ما ليس بمؤلف كالقضية الواحدة، وخرج بقولهم: "يستلزم لذاته قضية أخرى" ما لم يستلزم قضية أصلاً، وخرج بقولهم: "لذاته" ما استلزم قضية أخرى لا لذاته بل من أجل قضية أجنبية أو لخصوص المادة. وعرفه أرسطو أيضا أنه قول قدم له بمقدمتين أو أكثر يشمل على ما يلي:

أولا: القياس الحملي الاقتراني البسيط: الذي يعرف بأنه قول قدم له بمقدمتين سمي بالحملي نسبة إلى المحمول فيه وبالبسيط لأنه يتكون من مقدمتين ونتيجة، مقدمة كبرى وصغرى ونتيجة تتكون من حد أكبر محمولا وحد أصغر موضوعا أما الحد الأوسط فهو يتكرر في المقدمتين ويختفي في النتيجة. مثال:

كل إنسان فان ← مقدمة كبرى
سقراط إنسان ← مقدمة صغرى
سقراط فان ← نتيجة

قواعد القياس الحملي الاقتراني المنتج: تتمثل فيما يلي:

أولاً: القواعد المتعلقة بالحدود: تتمثل فيما يلي:

1. يجب أن يكون القياس الحملي الاقتراني البسيط من ثلاثة حدود لفظا ومعنى.
2. يجب أن يتكرر الحد الأوسط في المقدمتين ويختفي في النتيجة.
3. يجب أن يستغرق الحد الأوسط على الأقل في إحدى المقدمتين.
4. يجب أن لا يستغرق حد في النتيجة ما لم يكن مستغرقا في المقدمتين.

ثانيًا: القواعد المتعلقة بالقضايا: تتمثل في

1. يجب أن يتكون القياس من ثلاثة قضايا (مقدمتين ونتيجة).
2. يجب أن تكون إحدى المقدمتين موجبة لأنه لا إنتاج من سالبين سواء كانتا كليتين أو جزئيتين.
3. يجب أن تكون إحدى المقدمتين كلية لأنه لا إنتاج من جزئيتين سواء كانتا موجبتين أو سالبتين.

ثالثاً: القواعد المتعلقة بالنتيجة وتشمل ما يلي:

1. النتيجة يجب أن تتبع الأخس أي الأقل قيمة فالجزء أخس من الكل والسلب أخس من الإيجاب.
2. لا إنتاج من سالبتين سواء كانتا جزئيتين أو كليتين.
3. لا إنتاج من جزئيتين سواء كانتا سالبتين أو موجبتين.
4. لا إنتاج من مقدمة كبرى جزئية موجبة وصغرى كلية سالبة.

لأننا نتجاوز في حالة الإنتاج نحتاج قاعدة من قواعد الحدود وهي استغراق حد من النتيجة كان غير مستغرق في المقدمة الكبرى.

فكلما تم الالتزام بهذه القواعد كانت النتائج صائبة فاتفاق الفكر مع نفسه وتصويبه يتأتى من خلال الالتزام بقواعد المنطق.

* - أشكاله: تتمثل في أربعة أشكال تتحدد من خلال وضعية الحد الأوسط (و) إختصرها أحد العلماء فيما يلي حيث قال:

حمله بصغرى ووضعه بكبرى يدعى بشكل أول ويدرا
حمله في الكـــل ثانيا عرف ووضعه في الكل ثالثا ألف

وهي على الترتيب في التكمل

ورابع الأشكال عكس الأول

1 - الشكل الأول: هو الذي يكون فيه الحد الأوسط موضوعا في المقدمة الكبرى محمولا في المقدمة الصغرى.

2 - الشكل الثاني: هو الذي يكون فيه الحد الأوسط محمولا في المقدمتين معا.

3 - الشكل الثالث: هو الذي يكون فيه الحد الأوسط موضوعا في المقدمتين معا.

4 - هو الذي يكون فيه الحد الأوسط محمولا في المقدمة الكبرى موضوعا المقدمة الصغرى.

* ملاحظة: إن لكل شكل من الإشكال الأربعة ضروبه الخاصة به، وتعتبر ضروب الشكل الأول هي أكمل الضروب لأنها تحافظ على جميع القواعد المنطقية.

ثانيا: **القياس الشرطي**: مفهومه: هو الذي يتكون من مقدمة كبرى هي قضية شرطية متصلة أو منفصلة وصغرى حملية إستثنائية (نستثني أحد طرفي المقدمة الكبرى إما المقدم أو التالي)، ونتيجة تلزم عنها تنفي أو تثبت أحد طرفي المقدمة الكبرى.

مثلا : كلما كان الطالب مجتهدا كان ناجحا ← م ك (مقدمة كبرى)

لكنه مجتهد ← م ص (مقدمة صغرى)

إذا فهو ناجح ← ن (نتيجة)

والقياس الشرطي يشمل على نوعين هما:

أ - القياس الشرطي المتصل: هو الذي يتكون من مقدمة كبرى هي قضية شرطية متصلة وصغرى حملية استثنائية (نستثني أحد طرفي المقدمة الكبرى إما المقدم أو التالي)، ونتيجة تلزم عنها تنفي أو تثبت أحد طرفي المقدمة الكبرى.

مثال: كلما كان الماء موجودا بطل التيمم ← م ك

لكن الماء موجود ← م ص

إذا التيمم باطل ← ن

ب - القياس الشرطي المنفصل: هو الذي يتكون من مقدمة كبرى هي قضية شرطية منفصلة وصغرى حملية استثنائية (نستثني أحد طرفي المقدمة الكبرى إما المقدم أو التالي)، ونتيجة تلزم عنها تنفي أو تثبت أحد طرفي المقدمة الكبرى.

مثال: إما أن يكون العدد زوجي أو فردي ← م ك

لكنه زوجي ← م ص

إذا فهو ليس فردي ← ن

توافق النتائج مع المقدمات والتأكيد على اتفاق الفكر مع ذاته:

إن العقل لا يصدر أحكاما صائبة إلا إذا تقيد بقواعد المنطق الصوري (المنطق التقليدي) أو (المنطق الأرسطي) أو جملة المبادئ التي يجب الالتزام بها واحترامها حتى يتطابق الفكر مع ذاته ويطلق عليها مبادئ العقل التي تشمل ما يلي:

أولاً: مبدأ الذاتية أو الثبات أو الهوية الذي مفاده أن الشيء هو نفسه أو ذاته أو هو هو ورمزه: أ هو أ مثلاً سقراط هو سقراط الموجود موجود ومعدوم معدوم.

ثانيًا: مبدأ عدم التناقض ويقصد به بأنه يجب حمل الموضوع الواحد بأحد المحمولين المثبت أو النافي فالنقيضان كما يقول أرسطو لا يجتمعان ولا يرتفعان معًا رمزه: أ هو ب أو لا ب مثل الإنسان حي أو ميت.

ثالثًا: مبدأ الثالث المرفوع أو الوسط الممتنع أو مبدأ عدم التناقض: في حالة الحصر يقصد أنه يجب حمل الموضوع الواحد إما بالمحمول المثبت أو النافي ولا يمكن حمله بالمحملين معا فالوسط غير مسموح به منطقيا ورمزه: أما أن يكون أ هو ب أو لا ب ولا يمكن أن يكون أ هو ب ولا ب في نفس الوقت.

مثال: إما أن يكون الطالب ناجحا أو فاشلا ولا يمكن أن يكون ناجحا أو فاشلا في الوقت نفسه.

إمكانية التخلي عن المنطق الأرسطي وتغيير مجالات التفكير المنطقي:

رفض الفيلسوف الألماني هيغل المنطق جملة وتفصيلاً وبين ذلك في رفض مبدأ عدم التناقض وحيث اعتبره ليس ساريا على الظواهر والأجسام الموجودة في العالم الخارجي وقدم بديلاً هو مبدأ التناقض وكبديل للمنطق الصوري وضع "هيغل" المنطق الجدلي.

أما "رونيه ديكارت" فكان أيضًا معارضا لهذا النوع من المنطق أعني المنطق الصوري بشدة وتبين أنه لا طائل من ورائه ولا جدوى من القياس فهو عقيم وغير منتج والنتيجة فيه مجرد تكرار لما في المقدمات وهي تحصيل حاصل لأنها لا تأتي بمعرفة جديدة فهي متضمنة في المقدمات.

وهذا ما ذهب العالم "هانز ريشتنباخ" في قوله ما تفعله النتيجة في المنطق سوى نزع الغلاف عن المقدمتين " فمثلاً: إذا قلنا:

كل إنسان مفكر ← مقدمة كبرى

محمد مفكر ← مقدمة صغرى

محمد إنسان ← نتيجة

النتيجة في هذا القياس لا تأتي بعلم جديد فهي تحصيل حاصل وتكرار لما في المقدمات
لذلك يعد القياس عقيم وقد قدم فرنسيس بيكون الاستقراء التجريبي بنوعيه التا
والناقص والذي لا يهتم بواسطته الباحث (العالم) بمدى اتفاق الفكر مع نفسه وإنما يهتم
بمدى اتفاق الفكر مع الواقع.

لكن هذه الاعتراضات مردودة على أصحابها لأن هناك من دافع عن المنطق الأرسطي
سواء من العلماء القدماء أو المحدثين والمعاصرين فمن المفكرين المسلمين الذين لهم
الفضل في مجالات عديدة: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الذي قال قديما: "من لم يدرس
المنطق لا يوثق بعلمه".

فالعلوم يعتمد في غالب الأحيان على المنطق في ضبط المفاهيم الخاصة بها. فقد أمدنا بمنهج
ونظرية القياس وبه يتم التمييز بين التفكير السليم عن الفاسد...

ويمكن التأكيد بأن "رونيه ديكارت" أثناء صياغته الكوجيتو استخدم المنطق في حد ذاته
فانطلق من مقدمتين إحداهما صغرى والأخرى صغرى للوصول في النهاية على نتيجة
لازمة عنها لزومًا منطقيًا على النحو التالي (أنا أفكر إذن أنا موجود).

المشكلة الجزئية الثانية : بين المبدأ والواقع

تطابق الفكر مع الواقع :

يرى المفكر الإنجليزي فرانسيس بيكون (1561/ 1626) أن المنطق الحديث يدور قسم كبير منه حول دراسة مناهج العلوم، ولقد كانت الحملة التي شنها ديكارت وفرنسيس بيكون على المنطق الأرسطي أو الصوري عنيفة، فلقد كان رأيهما منطقا عقيما لم ينتج أي طريقة تساعد الإنسان في الحصول على حقائق الواقع، ولم ينجب أي منهاج يغني معرفة الإنسان، لقد ظل المنطق القديم يدور في حلقة مفرغة هي عدم تناقض الفكر مع نفسه أو ذاته ولم يراع كيف ينبغي أن لا يتناقض الفكر أيضا مع الواقع وكيف يجلو طبيعة هذا الواقع ويكشف عنها الغطاء، وقد كتب ديكارت مقالة في الطريقة نوه فيها بقيمة المنهاج، وأشاد بجدوى الرياضيات في الحصول على البداهة والوضوح، وكيف نتغلب على الصعوبات بتحليلها ورد المعقد منها إلى البسيط ثم الانتقال من البسيط إلى المركب وكان بيكون يرى من جهة أخرى أن المنطق الحديث ينبغي أن يقتفي آثار العلماء ويتبعهم في خطواتهم يرى كيف يصلون إلى القوانين وبذلك يخلص إلى علم خاص بالطرائق أو المنهاج. يغدوا زبدة منطق جديد. فما دام الموضوع في علم الطبيعة محسوس فالطريقة استقرائية تعتمد على الملاحظة والفرض والتجريب والاستقراء يعرف بأنه طريقة ينتقل فيها الفكر من الجزء إلى الكل أو منهج بحث يتم به تتبع الظواهر الطبيعية التي تقع في العالم الخارجي بملاحظتها كعينة أو كاملة من أجل الإلمام بخصائصها أو صفاتها ثم إقامة التجربة عليها كاملة أو كعينة من أجل إيجاد تفسير لها. و هو يشمل نوعان هما:

أ- الاستقراء التام و هو طريقة يتم فيها تتبع الظواهر التي تقع في العالم الخارجي بملاحظتها كاملة من أجل الإلمام بخصائصها أو صفاتها ثم إقامة التجربة عليها كاملة من أجل إيجاد تفسير لها. مثلا:

الحديد، النحاس، الزنك، القصدير... الخ كلها معادن م1

الحديد، النحاس، الزنك، القصدير.... الخ تتمدد بالحرارة م2

النتيجة: كل المعادن تتمدد بالحرارة.

أ - الاستقراء الناقص: يعرف بأنه طريقة ينتقل فيها الفكر من الجزء إلى الكل أو منهج بحث يتم به تتبع الظواهر الطبيعية التي تقع في العالم الخارجي بملاحظتها كعينة من أجل الإلمام بخصائصها أو صفاتها ثم إقامة التجربة عليها كعينة من أجل إيجاد تفسير لها يعمم على جميع الظواهر المشابهة لها. مثلا:

الخبز مادة عضوية (مادة حية) م1

الخبز يتعفن بفعل البكتيريا (كائنات هوائية دقيقة) م2

النتيجة: كل تعفن للمادة الحية يرجع إلى البكتيريا.

خطوات منهج الاستقراء التجريبي:

فالتطابق بين الفكر والواقع لا يتأتى إلا بتطبيق منهج الاستقراء التجريبي الذي يتكون من الخطوات الآتية:

أولا: الملاحظة العلمية وهي الخطوة الأولى في البحث العلمي يتم فيها مشاهدة ومعاينة ومراقبة الظاهرة المشكل من أجل الإلمام بخصائصها لإيجاد تفسير أو حل مؤقت لها وهي تختلف عن الملاحظة العامية باعتبار أنها تتميز بالعمق والدقة والتنظيم والقصدية واليقين والموضوعية والعموم لأنها إشكالية لا تنتهي بانتهاء الظاهرة من العالم الخارجي وهي خالية من المنفعة ومتعددة تشمل ما يلي:

1 - الملاحظة العادية التي تتم بالحواس فقط.

2 - الملاحظة المجهزة أو المسلحة وهي التي تعتمد على التقنية أو الوسائل المبتكرة مثل المجاهر وأنواعها.

1 - الملاحظة الكيفية وهي التي تستند إلى الوصف.

2 - الملاحظة الكمية وهي التي تعتمد على القياس أو التقدير الكمي ويمكن أن نوظف فيها اللغة الرياضية.

ومن شروط الملاحظة العلمية ما يلي:

أ - يجب أن تتوفر ظاهرة للملاحظة.

ب - يجب وجود ملاحظ أي عالم سليما من الناحية العضوية والنفسية (خاليا من الأمراض العضوية والسيكولوجية).

جـ - يجب أن يتحرى الملاحظ الموضوعية فينقل ما وقع كما هو دون تعديل فيكون مماثلا لآلة فوتوغرافية أو آلة التصوير.



د- يجب توفر الأجهزة مع سلامتها نم أس عطب أو خلل تقني.
هـ- يجب أن يكون الملاحظ مالكا للدراية ولمعرفة كيفية استخدام هذه الأجهزة. فكل بحث علمي يبدأ بالملاحظة العلمية يمكن الباحث من وضع الفرضية.

ثانيا: الفرضية هي الخطوة الثانية في البحث العلمي تعبر عن مجهود عقلي يستهدف إيجاد حل يخلص الباحث من التناقض الذي طرحته الظاهرة المشكلة فالفرضية فكرة تسبق التجربة وهي ضرورية للبحث لأنها نقطة انطلاق لكل استدلال تجريبي، وقد عرفت بأنها قفزة في المجهول أو أنها مشروع قانون، فالفكرة هي مبدأ كل برهنة وكل اختراع وإليها ترجع كل مبادرة نابعة من العقل موجهة للتجربة فالتجارب التي لا توجهها فروض ليست تجاربا علمية.

ثالثا: التجربة وهي الخطوة الثالثة في البحث العلمي تعرف بالملاحظة المصطنعة يتم فيها إحداث الحدث كما حدث أو إيقاع الواقعة كما وقعت يتسنى فيها للمجرب التحقق من صحة الفروض العلمية ويشترط فيها ما يلي:
أ- أن تكون قابلة للإعادة والتكرار.
ب- يجب توفر الأجهزة فيها مع سلامتها من أي عطب أو خلل تقني.
جـ- يجب أن يتم فيها التأكد من صحة الفروض العلمية.
د- يجب أن يتحرى فيها المجرب الموضوعية وفي هذا نصح "ماجيندي" تلميذه "كلود برنار" قائلا له أترك عباءتك وخيالك وراء باب المخبر.
هـ- يجب أن يكون المجرب مالكا للدراية في كيفية استخدام الأجهزة أثناء التجربة. وهي تختلف عن الملاحظة الإشكالية وهذا ما هو مؤكد في قول كوفييه: "إن الملاحظ يصغي لهمسات الطبيعة بينما المجرب يسألها ويرغمها على الجواب."

رابعا: القانون العلمي وهو الخطوة الأخيرة التي يتم فيها صياغة النتائج المستنبطة من التجربة وهو حل أو تفسير للظاهرة المشكل أو ما يترتب عن التجربة من نتائج هي حلول للقضية المطروحة أو الظاهرة التي يبحث فيها ويشترط فيه حتى يتوفر على الدقة واليقين والموضوعية أن يتم صياغته على شكل دالة رياضية. ففهم الظواهر لا يعني اكتفاء الفكر بالملاحظة وتسجيله تسجيلا آليا بل إن فهمها يعني انفعال الفكر بما يلاحظه بناءا على معرفة سابقة إذا فنشاط الفكر يتجلى واضحا في استعمال الذاكرة والمخيلة والوظائف النفسية أو العقلية لتصور العلاقة بين الظواهر من جهة ثم في تنسيق النتائج المحصل عليها وترتيبها

عقليا ترتيبا معينا، ويعبر عنها بلغة رياضية دقيقة، فالمنهج التجريبي بخطواته الأربعة لعب دورا كبيرا في تطور المعرفة العلمية كما أن التجربة التي قام بها العالم كلود برنار حول بول الأرانب تفيد تكامل الخطوات الأربعة ودورها في وصوله إلى حقائق جديدة، حيث أكد في نهاية بحثه أن الكائن الحي يتغذى من مدخراته في حالة الصوم أو الامتناع عن الطعام.

* - قواعد الاستقراء التجريبي:

حتى يتحقق التأكد من صحة الحقائق بمطابقتها للواقع وجب حسب المفكر الإنجليزي "جون إستوارت مل" التقيد بقواعد الاستقراء التي تتمثل فيما يلي:

1 - قاعدة التلازم في الحضور: ويقصد بها أنه إذا تلازمت ظاهرتان في الوقوع كانت إحداهما علة والأخرى معلولة فإذا حضرت العلة حضر المعلول. مثلا: إذا تلازمت ظاهرة تعفن المادة الحية مع وجود البكتيريا كانت هذه الأخيرة علة لها.

2 - قاعدة التلازم في الغياب: ويقصد بها أنه إذا تلازمت ظاهرتان في عدم الوقوع كانت إحداهما علة والأخرى معلولة فإذا غابت العلة حضر المعلول. مثلا: إذا تلازم غياب التعفن مع غياب البكتيريا كانت هذه الأخيرة علة لها.

3 - الجمع بين القاعدتين: ويقصد بها كلما حضرت العلة حضر المعلول وكلما غابت غاب معها.

4 - قاعدة البواقي: ويقصد بها الباقي من العلل للباقي من المعلولات أو الباقي من الأسباب للباقي من الظواهر. مثلا: إذا كان جزء من الاضطراب على الكوكب أورانوس يرجع إلى الكوكب زحل والجزء الآخر إلى الكوكب المشتري فالباقي من الاضطراب للباقي من الكواكب التي لم تكتشف بعد وهو الكوكب نبتون فقد اكتشف العالم "لوفيري" هذا الكوكب بواسطة هذه الطريقة.

5 - قاعدة التغير النسبي: وتعرف بأن الظواهر لها علاقة ببعضها بعضا وهي تتغير بنسب متفاوتة كلما تغيرت إحداها فمثلا كلما اقتربنا من سطح البحر كلما زادت نسبة الرطوبة وكلما ابتعدنا قلت نسبتها إذا فالرطوبة كظاهرة تختلف من مكان إلى مكان آخر.

تطابق الفكر مع الواقع بالرغم من تسليمه بمبادئ أولية تمثلت فيما يلي:

أولا: مبدأ السببية: الذي يعني أن لكل ظاهرة سبب كاف أدى إلى ظهورها أو لكل معلول علة أو لكل مسبب سبب هذا الأخير الذي اختلف في فهمه الفلاسفة عبر العصور حيث يعتبر أرسطو أن العلل التي تحكم الظواهر أربعة تشمل: العلة المادية والصورية والغائية

والفاعلة، ويعتقد أصحاب الاتجاه التجريبي الإنجليزي الذين من بينهم "دافيد هيوم" أن العلية عادة ذهنية وما يحكم الظواهر التي تقع في العالم الخارجي سوى قانون التتابع أو التعاقب فقط كما أن الاستقراء لا يوجد ما يبرره عقليا أي لا يوجد مبرر عقلي يجعلنا ننتقل من الحقائق الجزئية إلى الحقائق الكلية، وكل ما هناك مجرد عادة فقط تكونت بفعل تكرار الحوادث على نفس الوتيرة وتتابعها (السابق واللاحق)، غير أن هذا التتابع لا يحمل طابع الضرورة المنطقية. يستمد "هيوم" البرهنة من التجربة حيث يرى أننا لو نأتي بشخص لأول مرة إلى هذا العالم، فإنه سيلاحظ أن الوقائع متتابعة لكنه لا يستطيع أن يحكم بطريقة منطقية أن السابقة هي اللاحقة وذلك لأنه غير مزود بهذه الفكرة قبليا، وعندما تتكرر هذه الوقائع فإنها تولد في نفسه عادة تصبح مبدءا يفسر به كل ظاهرة.

ثانيا: مبدأ الحتمية: يرى كل من "كلود برنار ولابلاس وباسكال وهنري بوانكاري" أن الحتمية تتمثل في الترابط العضوي بين الظاهرة وشروطها لأن كل ظاهرة طبيعية مقيدة بشروط تحدثها، وأن تكرار نفس الشروط يؤدي إلى تكرار نفس الظاهرة. إذن فالحتمية هي العلاقة الضرورية التي تتحكم في الظواهر وعلى هذا الأساس فالطبيعة خاضعة لنظام ثابت مطرد. لذلك فمبدأ الحتمية مطلق والتنبؤ العلمي أمر ممكن.

والظواهر خاضعة له يقول لابلاس: "يجب علينا أن نعتبر الحالة الراهنة للكون نتيجة لحالاته السابقة التي تأتي بعد ذلك مباشرة." إذن ما يترتب عن موقف لابلاس هو أن جميع الظواهر سواء كانت بسيطة أو مركبة، جامدة أو حية خاضعة لنظام واحد. فليس هناك صدفة أو احتمال أو حرية اختيار فالحتمية مبدأ مطلق فكلما توفرت نفس الشروط فإنها تؤدي إلى نفس النتائج.

ومنه يمكن أن نصل إلى القول بأن العقل البشري يحاول دائما القضاء على مبدأ الصدفة والجهل الذي يشعر به إزاء حدوث الظواهر لذلك لا يمكنه التخلي عن مبدأ الحتمية لكن الإنسان لا يزال عاجزا عن التنبؤ بكل ظواهر الطبيعة خاصة ما يتعلق بالعالم الأصغر مما أصبح يطرح علامات استفهام أمام مبدأ الحتمية.

تقييم ونقد:

لقد أكد التاريخ أن الأبحاث المنظمة عند قدماء اليونان لا سيما على يد أرسطو طاليس (المعلم الأول 322/ 384 ق.م) الذي استفاد كثيرا من محاضرات سقراط (339/ 469 ق.م) وجدل أستاذه أفلاطون (347/ 427 ق.م) فوضع الأسس الأولى للمنطق

الصوري وصاغ قواعده وأحكامه التي جمعت بعد ذلك في كتاب عرف بالأورغانون، فقد شاع المنطق الأرسطي أو الصوري - الذي يهتم بمدى أتفاق الفكر مع نفسه ويهمل الواقع - في أوروبا في القرون الوسطى وكانت سلطته على العقول قوية جدا حتى أن الكنيسة احتضنته واعتبرت قواعده وأصوله حقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فالذي يعنينا هنا أن لا يتناقض الفكر مع ذاته أو نفسه حتى تكون أحكامه صائبة لكن منذ القرن السادس عشر أخذت صورة هذا المنطق الصوري تنهار فقد عيب عليه الطابع الإستنتاجي وإذا كان لا يجادل أحدا في أن الفكر ينبغي ألا يتناقض مع ذاته فينبغي أيضا أن لا يتناقض مع الواقع وبالتالي ينبغي أن تكون معرفتنا بالواقع المادي والحيوي والاجتماعي النفسي معرفة صحيحة وأن تكون معلوماتنا عنه معلومات مؤكدة قائمة على البحث والتحري لا على الظن والتخمين ولا يتم ذلك إلا باستقراء الواقع وملاحظته والتجريب عليه وقد حمل لواء هذه الدعوة كما ذكرنا سابقا المفكر الإنجليزي فرانسيس بيكون (1561/ 1626) فكان المنطق الجديد الذي يقوم على الطريقة الاستقرائية محل المنطق القديم الذي يقوم على الطريقة الإستنتاجية وقد عرض هذه الطريقة في كتابه أسماه الأورغانون الجديد.

خلاصة عامة:

وفي الأخير نصل أيضًا إلى القول أنه إذا كان ينبغي للفكر أن لا يتناقض مع نفسه أو ذاته فوجب أن لا يتناقض مع الواقع وبالتالي فإن تقدم العلوم التجريبية وتشعب مناحيها وما أسفرت عنه من كشوف أبان أن الحقيقة تبنى بالملاحظة والتجريب والمقارنة والإحصاء وبوسائل متعددة وأنها لا تدرك مباشرة في جميع الحالات لأن الواقع يطرح نفسه في صور متعددة.

الوحدة التعليمية الثالثة: في فلسفة العلوم

المشكلة الجزئية الأولى: الحقيقة العلمية والحقيقة الفلسفية المطلقة.

تمهيد:

يفضل الإنسان دومًا تجاوز ما جهله عن هذا العالم وظواهره الغامضة، يدفعه فضوله العلمي وحب الاستطلاع فهو يريد الوصول إلى الحقيقة أو المعرفة هذه الأخيرة لو نظرن إلى مختلف جوانبها ونواحيها يمكن اعتبارها مسألة فلسفية أولى لها المفكرون والفلاسفة منذ القديم اهتمامًا كبيرًا باحثين في طبيعتها والأدوات التي تتم بها حدودها وقيمتها وقد اختلفوا في المقاييس أو المعايير التي تتم بها.

فإذا كانت الحقيقة حقائق وأصناف شتى فلماذا البحث عن الحقيقة المطلقة الواحدة؟ وكيف التمييز بينها وبين الواقع؟ وهل الحقائق العلمية واحدة في صرامتها وطريقة إستنتاجها؟ وهل هي حقائق لا غبار عليها من الناحية الإبستيمولوجية؟ وهل يمكن إستثمارها وكيف؟ وهل ما قدمته للإنسان يساهم في محاربة جهله ورفع سعادته؟

إن الإنسان يتميز عن بقية المخلوقات بالفضول العلمي أو حب الاستطلاع والرغبة في تجاوز المجهول، فهو يسعى دائما لإكتساب المعرفة والبحث عن المعرفة تقتضي الكشف عن حقيقتها فما المقصود بالحقيقة؟

مفهوم الحقيقة:

عرفت عامة بأنها كلمة متداولة في حياتنا اليومية يقصد بها كل ما يطابق الواقع نقيض الخيال والوهم مثلا عندما نقول العراق الآن بلد مستقل وحر قول لا يطابق الواقع إذن فهو يتعارض مع الحقيقة بينما إذا قلنا العراق الآن محتل من قبل الأمريكيين فهو على العكس من ذلك تماما قول يطابق الواقع وحقيقة لا يمكن إنكارها أما لغة فهي كلمة مأخوذة من الحق بمعنى

الصدق أو الصواب ويقصد بها الله سبحانه وتعالى أما من الناحية الاصطلاحية فتعني عند الفلاسفة هي الحكم الصادق الذي لا شك فيه ولا ريب. يمكن للنفس أن تدرك الحقيقة عند أفلاطون إذا استطاعت أن تتخلص من كل ما تعلق بها من شوائب في عالم المحسوسات وترتفع إلى عالم التعقل وذلك بالتأمل والتذكر.

ضبط الإشكالية: ما هي أصناف الحقيقة؟

فالحقيقة أثارت جدلاً بين العلماء والمفكرين قديماً وحديثا فما هي أصنافها؟

1 - عرض الموقف:

إن حقيقة الشيء: هو خالصة وكنهه وماهيته فقولنا: ذهب حقيقي أي خالص، وتفكر حقيقي أي خالص من اللبس وحقيقة الأمر: أي يقين شأنه، فالحقيقة هي الماهية أو الذات أو الصفات الثابتة للشيء يقينا لقول بن سينا: «فإن لكل أمر حقيقة هو بها ما هو» والحقيقي عند الفلاسفة: «هو الشيء الموجود بالفعل» والحقيقي عند آخرين هو: «مطابقة الحكم للمبادئ العقلية كما يطلق على الشيء الموجود كما هو أو مطابقة الشيء لصورة نوعه». والنتيجة أن الحقيقة أصناف تشمل ما يلي:

أولاً: الحقائق المطلقة: وهي الحقائق المستقلة القائمة بذاتها التي لا تحتاج إلى غيرها لوجودها دائمة أبدية لا متناهية، فالحقيقة المطلقة تعني عدم ارتباطها في وجودها سبب من الأسباب لأنها مستقلة ومتعالية وهذا الصنف من الحقائق هو الذي أشار إليه أفلاطون في عالم المثل حيث الخير الأسمى (التام) والجمال المطلق والخلود..... واعتبر كانط الحقائق المطلقة مجالها العلم الرياضي كحقائق يقينية.

ثانيًا: الحقائق النسبية وهي الحقائق التي يكون وجودها تابعًا لوجود غيرها ومرتبطة به لسبب من الأسباب وهي حقائق متغيرة، محتملة متناهية وزمانية وهذا ما نجده بوضوح في ميدان العلوم التجريبية وتدخل هنا أيضا الحقائق الذوقية المرتبطة بالشعور فهي خاصته وذاتية وتختلف من فرد إلى آخر.

ثالثا: حقائق بين المطلق والنسبي وهي حقائق تنقلب من قبضة العقل البشري وأحكامه وتبقى معرفتها ضبابية من الصعب تحديد اليقين فيها وهي تتجلى في الموضوعات الميتافيزيقية لذلك قد تكون مطلقة بمعنى ما وقد تكون نسبية بمعنى آخر ويمكن تقريب هذا المعنى بقول المعتزلة " بالمنزلة بين المنزلتين " في الحكم مرتكب الكبيرة فلا هو مؤمن ولا هو كافر بل هو بينهما فهو فاسق كذلك أفلاطون الذي جعل الروح تتوسط بين الله (عالم المثل) والناس في عالم المحسوسات.

المناقشة:

هذا التنوع في الحقيقة يجعلها متعددة وليست واحدة بتعدد طبيعية نوع الموضوعات الموجودة في هذا العالم.

النتيجة:

وختاما نستنتج مما سبق أنه لا يوجد تصنيف واحد للحقيقة فقد تصنف إلى حقيقة صورية وأخرى نسبية وتتجلى الأولى في الحقيقة الفلسفية أما الثانية فتتجلى في الحقيقة العلمية.

مقاييس أو معايير الحقيقية:

ضبط الإشكالية: هل للحقيقة معيار واحد؟

فمسألة الحقيقة مرتبطة بالإنسان الذي يبحث عنها والوسائل التي يعتمد عليها لبلوغها، لذلك نجد أن مقاييسها أو معاييرها مقترنة بالباحث الذي يبحث عنها واتجاهه وفلسفته التي يعتمدها، ومن بين معاييرها ما يلي:

1 - معيار التطابق مع العقل:

أما أفلاطون فيرى أن الانسجام بين الأفكار وعدم التناقض هو معيار الحقيقة و لكي نثبت صحة فكرة معينة هو أن نرجعها بكيفية منطقية إلى فكرة أخرى نسلم بصحتها: فالصدق هنا صوري يبحث على غرار ما هو موجود في الرياضيات والمقياس هو تطابق الفكر مع ذاته.

المناقشة: لقد وجهت جملة من الانتقادات لأصحاب هذا الموقف تمثلت فيما يلي:

إن قدرة العقل على الوصول إلى حقائق تحظى بالإجماع وأصبحت اليوم بعيدة عن الشك نسبيا لكن لا يعني أن كل حقيقة صادقة هي حقيقة مطابقة للعقل، لقد أهمل أصحاب هذه النظرية معايير أخرى للحقيقة كمعيار المنفعة والنجاح والتجربة ومعيار البداهة والوضوح والوجود بذاته... الخ.

2 - معيار البداهة والوضوح:

يؤكد روني ديكارت أن معيار الحقيقة لا يوجد خارج أفكارنا بل يوجد فيها، لقد شك ديكارت في كل المعارف لكن شكه لم يصمد أمام حقيقة ثابتة واضحة ومتميزة هي أنه يفكر وأنه موجود كذات مفكرة، وبما أنه يدرك هذه الحقيقة بتميز فإن فكرة تتجلى للعقل بهذه الكيفية أي كل فكرة بديهية فهي صحيحة. فالحقيقة الأولى لديه أصبحت معيارًا ومقياسًا لكل حقيقة ومثالها: الكل من الجزء والجزء أقل من الكل...

المناقشة:

إن معيار البداهة والوضوح ذاتي يتعلق بسيكولوجية الإنسان ومن ثمة فهو بعيد عن الموضوعية والمنطق. إن ما يبدو الإنسان ما واضحًا ومتميزا لو بديهيا قد يبدو لغيره بصورة مختلفة أي غامضا ومعقدا، ثم إن إيماننا واعتقادنا العميق بصفة عامة يحمل أفكارا خاطئة تشكل عائقا ابستيمولوجيا إذ ليس من السهل علينا التخلص والتحرر منها نظرا لوضوحها الظاهري واستعدادنا النفسي لقبولها من جهة ورفض الأفكار الجديدة الصحيحة التي تتعارض معها. إن العلماء وجدوا تقريبًا في جميع العصور صعوبات كبيرة في إقناع الناس بصحة الحقائق التي اكتشفوها مثلاً: غاليلي غاليلو كانت فكرة أن الأرض تدور واضحة لديه لكنها كانت غامضة عند مجتمع الكنيسة كما أن العالم هارفي عندما إكتشف الدورة الدموية كانت الفكرة واضحة لديه لكنها رفضت من قبل مجتمعه وبقيت أكثر من أربعين سنة غير مقبولة، هذا يؤكد أن ما هو واضح لدى هذا الفرد يمكن أن يكون غامضا لدى الآخرين فلا يمكن اتخاذ عامل البداهة معيارا للحقيقة فهناك معايير أخرى أهملها أصحاب هذه النظرية متمثلة في التجربة والوجود لذاته... الخ.

3 - معيار المنفعة والنجاح:

إن البراغماتية كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية براغما "Pragma" وتعني العمل وأول من أدخلها المنجد الفلسفي هوبيرس سنة 1878 والبراغماتيية كما يريدها وليام جيمس منهج ونظرية في المعرفة تجعل النجاح والمنفعة معيارًا نقيس به الأحكام فنقول أنها صادقة أو كاذبة إذا كانت تنفع وتحقق نجاحًا. فصدق الفكرة وقيمتها الحقيقية متعلق بالنتائج التي تترتب عنها عند العمل والتطبيق في الواقع.

ونلاحظ هنا الاتجاه التجريبي للبراغماتية لذلك تنظم البراغماتية إلى التجريبية التي تمثل الاتجاه المقابل للمذهب العقلي الذي يجعل الصدق خاصية تلازم الفكرة بصفة مطلقة أما الحقيقة عند وليام جيمس فتتماشى مع نشاط الفكرة في الواقع فنفس الفكرة قد تكون اليوم صادقة وغدًا كاذبة حسب النتائج التي تترتب عنها إن الحقيقة عنده حقيقة في اللحظة التي نتكلم فيها وقد لا تكون كذلك في اللحظات التي سبقها أو التي تليها ماذا يعني ويلام جيمس بالصدق؟ إن الصدق عنده هو المطابقة مع الواقع غير أن المطابقة مع الواقع لا يعني أن ننقل الواقع كما هو وإنما أن تكون الفكرة تتلاءم مع الواقع والتحقق من نتائجها الإيجابية لا تريد البراغماتية أن تكون الفكرة صورة للواقع وإنما تريدها أن ترتبط بالعمل

والنتائج التطبيقية، فالقوانين العلمية صادقة بالمقدار الذي تمكننا من التنبؤ والعمل والإنتاج والتجربة النفسية صادقة بمقدار ما يحققه من نجاح روحي وتساعدنا على تخطي صعوبات الحياة، وتحقق لنا الراحة الروحية: تطابق الفكرة مع الواقع بقي نفسه ولم يتغير الأمر الذي لا يتفق مع وليام جيمس الذي نفس الواقع عنده قد يجعل الفكرة كاذبة بعد أن كانت صادقة إذا تغيرت النتائج المترتبة عنها.

إن الواقع عنده لا صدق فيه ولا كذب وإنما هو موجود أخرس ونحن الذين لتحكم فيه والتجربة في تغير مستمر وكذلك الحقيقة. فالمعرفة عند البراغماتيين نسبية وليست مطلقة مهما أثبتت التجربة صدقها لأن أمورًا كثيرة قد نقلت منا مما يجعل الحكم الصادق اليوم يحتمل أن يكون كاذبا غدا ويبقى الصدق ليس تلاؤم الفكرة مع الواقع بما تحققه من نتائج نافعة وإنما نطابق الفكرة مع الواقع نطابق يجعلها فكرة موضوعية خالصة من كل ذاتية.

المناقشة:

إن جعل المنفعة معيار المنفعة معيارًا للصدق كما يريد البراغماتيين قد يكون حجة لكثير من التصرفات الأنانية التي تبعد الإنسان عن المسار الأخلاقي اللائق به فتكثر النزاعات بين الأفراد نتيجة لتصادم المنافع إذا كان من المفروض أن تجعل الحقيقة الإنسان سعيدًا. نتساءل كيف يمكن لهذه الحقيقة التي تفسح المجال للأنانية والصراع أن تجعل الإنسان سعيدًا؟

إن هذا الاختيار الجديد للحقيقة مع البراغماتية والقائم على تحقيق النفع العملي يجعل الحقيقة تابعة لمقتضيات الوجود وتقلبات المنافع أكثر مما هي تابعة لمقياس محدود وبالتالي لا يعود هناك مقياس للصدق والكذب، وعلى العموم فإن هذه النظرية العملية للحقيقة لو اقتصرت على الميدان لعلمي لكانت أكثر صدقا ولكن أصحابه أرادوا بها أن تكون شاملة بجميع الحقائق الدينية والفلسفية وهنا يثور الاعتراض عندهم.

كما أن تصورنا أن المعرفة مرتبطة بالنجاح والمنفعة الا تكون شخصية وذاتية أكثر منها موضوعية.

4- معيار الوجود لذاته:

يرى الوجوديون ومن بينهم جون بول سارتر أن مقياس أو معيار الحقيقة وصدق الأفكار وصحة الأحكام مرتبط بالإنسان فالفلسفة الوجودية تهتم بالإنسان وترى أنه مقياس للحقيقة، فما يراه الإنسان صوابا فهو صواب وما يراه خطأ فهو خطأ، وأن الفكرة الصادقة

هي التي يحكم ليها الإنسان بالصدق والفكرة الكاذبة هي التي يحكم عليها الإنسان بالكذب فهو محكوم عليه بالحرية مسؤول عن جميع تصرفاته.

المناقشة:

إن الفلسفة الوجودية تتصور حقيقة الإنسان أنه موجود عبثيا لا معالم تهديه في إختياراته وترشده إلى لصواب وطريق الحق فلا دور للرسالات السماوية في توجيه الإنسان وهدايته للحق.

النتيجة:

ومن يمكن التأكيد بأن معايير الحقيقة متنوعة ومتعددة بحسب تعدد المذاهب والإتجاهات الفكرية والفلسفية وتنوع الوسائل التي تعتمد في البحث عنها مما يجعل أصناق الحقيقة كذلك متعددة فهناك الحقائق النسبية والحقائق المطلقة والحقائق بين النسبي والمطلق.

* علاقة الحقيقة بالواقع:

إن العوام من خلال توظيف اللغة العادية لا يميزون بين الحقيقة والواقع - هذا الأخير الذي يعرف بالعالم الخارجي الذي يشمل ظواهر وموجودات ماثلة أمام حواسنا وعقولنا - في حين أن التفكير الفلسفي يقيم بينهما فرقا أساسيا ذلك أن الواقع هو صفة الأشياء الموجودة، فنقول مثلا هذا قلم أو كتاب أو مكتبة، أشياء واقعية بمعنى أنها موجودة حسيا بالفعل بينما الحقيقة هي صفة الأحكام من حيث هي صادقة أو كاذبة فنقول عندئذ أن حكمنا بأن القلم أو لكتاب فوق المكتب أو ليس كذلك حكم حقيقي بمعنى أنه يتضمن قيمة الصدق أو الكذب حتى في صورة ما إذا بادرنا إلى وصف الأشياء بالحقيقة فإن هذا الوصف يتضمن فقدان قيمة من القيم فنحن عندما نقول هذه عملة نقدية حقيقية فإنما نقصد بهذا الوصف الحكم عليها بعدم التزييف أو التزوير بالإضافة إلى كونها واقعية.

المشكلة الجزئية الثانية : في فلسفة الرياضيات

تمهيد :

لقد جعل أرسطو من المنطق مقدمة لكل العلوم، غير أن الطابع التحليلي في لمنطق جعل الكثير يصفه بالعقيم لأن النتيجة متضمنة في إحدى المقدمتين وفي المقدمة لكبرى على وجه الخصوص، مما أدى إلى البحث عن منطق جديد للعلم هو المنطق المادي والبحث عن مدخل لمختلف العلوم فرض الرياضيات التي أصبحت لغة للعلم بدلا عن لغة المنطق.

وأصبحت الأنظار مشدودة إليها تؤكد قيمتها وأهميتها، وفي هذا الإطار تطرح أسئلة كثيرة، ماذا يراد بالرياضيات؛ ما هو موضوعها؟ ما هي المبادئ التي تقوم عليها؟ كيف يحقق الرياضي قضاياه؟ ثم ما هو موقعها في الفكر الإنساني عموما وما أثارها في العلم على وجه الدقة؟

1 - مفهوم الرياضيات:

إن الرياضيات عامة كلمة متداولة في حياتنا اليومية يقصد بها فن الحساب أو هي من العلوم المعقدة التي يصعب على الإنسان فهم محتوياتها إلا إذا كان مالكا لقدرات عقلية فائقة أما لغة فهي مأخوذة من الفعل روض بمعنى درب ومرن إذا فهي تعني التدريب والتمرين فمثلا عندما نقول روض الفارس الحصان أي دربه على أنماط من الحركات والسلوكات حتى تسهل قيادته وعندما نقول روض الصائم نفسه على تحمل الجوع والعطش أي دربها على ذلك. فهي عند القدماء من العرب مرادفة للتعاليم التي تعني كل ما يقبل التعلم والتعليم والعمل به، فكانوا يقولون الرياضيات أو التعاليم أما من الناحية الاصطلاحية فهي تعني علم الكميات المجردة القابلة للقياس والتي تزيد وتنقص أو هي علم المفاهيم العقلية المجردة القابلة للتقدير أو القياس، و قد بلغت اليقين في نتائجها وهذا يعود إلى طبيعة موضوعها.

2 - موضوعها: تدرس الرياضيات نوعين من الكم هما: 1 - الكم المتصل: يسمى هذا الكم متصلا تعبيرا عن موضوعات الهندسة [أطوالا، مساحات، أشكالا،...الخ] إذ يلاحظ عدم وجود فجوات بين وحداته، فالمستقيم هو عدد لا نهائي من النقاط المتصلة على استقامة واحدة، يتميز الكم المتصل أو الهندسي بأنه كم عقلي مشخص يفترض مكانا.

2- الكم المنفصل: وهو موضوع للحساب يتميز موضوعه بأنه مجرد وسمي منفصلا لانفصال وحداته ووجود ثغرات أو فجوات بينها فمثلا العد 1-2-3....الخ. فبين هذه القيم عدد لا نهائي من لقيم. تطور هذا الفرع فظهر الجبر مع الخوارزمي ثم التحليل مع ديكارت.

نتيجة: الرياضيات علم يختص بدراسة المفاهيم الكمية المجردة.

3 - مبادئ الرياضيات:

طالما أن موضوع الرياضيات نظري فالأكيد أن الرياضي سينطلق من مبادئ ضرورية لهذا النمط من التفكير وقد حدد أقليدس 03 أنواع من هذه المبادئ، ظل ينظر إليها على أنها ضرورية لكل رياضي وهي:

1. البديهيات axiomes - évidence

يقصد بالبديهية كل قضية واضحة بذاتها لا تحتاج إلى برهان أو كما يقال هي حكم تحليلي محموله متضمن في موضوعه فمبادئ العقل مثلا بديهيات. وفي الرياضيات حدد إقليدس 05 بديهيات هي:

الكميات المتساوية فيما بينها تظل كميات متساوية

إذا أضيفت كميات متساوية إلى أخرى متساوية أعطية كميات متساوية.

إذا طرحت كميات متساوية من كميات متساوية أعطيت كميات متساوية.

الكميات المتطابقة متساوية.

الكل أكبر من الجزء.

مميزات البديهية:

واضحة بذاتها لا تحتاج إلى برهان

تتميز البديهية بأنها عامة تلزم جميع العقول كما تلزم في جميع المعارف

تتميز البديهية بأنها ثابتة

سابقة عن التجربة تدرك بالبداهة بشكل حدسي

من نسيج العقل.

المسلمة: postulats وهي قضية بسيطة يضعها العالم ويطالبنا بالتسليم بها على أساس أنه سيبني عليها نسقا رياضيا متماسكا. وأشهرها في الرياضيات تلك التي حددها إقليدس.

من الممكن الوصل بين أية نقطتي بخط مستقيم.

يمكن مد القطعة المستقيمة من جهة إلى ما لا نهاية.
يمكن رسم الدائرة إذا علم مركزها ونصف قطرها.
الزوايا القائمة متساوية.
من نقطة خارج مستقيم لا يمكن أن يمر إلا مواز واحد لذلك المستقيم
خصائص ومميزات المسلمة:
قضية بسيطة ولكنها أقل وضوحا من البديهية.
المسلمة خاصة في مقابل البديهية التي توصف بأنها عامة أي خاصة بالعالم لذي يضعها كما تختص بالمجال المعرفي.
المسلمة متغيرة.
بعدية.

التعريفات: يراد بالتعريف تحديد مفهوم أي حد أو لفظ بذكر خصائصه الجوهرية قدر الإمكان، وهي أقوال شارحة إما أن تكون دالة على ماهية الشيء أو على صفاته العرضية التام فيها يتكون من الجنس القريب والفصل النوعي يمكن أن تكون نقطة إنطلاق للبرهنة الرياضية، فمثلا تعريف الدائرة هي شكل هندسي له أربعة أضلاع متساوية وأربع زوايا متقايسة، والنقطة الرياضية هي ما ليس له بعد. وإذا استثنينا البديهيات والمسلمات فما تبقى في الرياضيات عبارة عن كائنات أو مفاهيم، أي أنها مصدر ثراء الرياضيات، ويميز الرياضيون بين تعريفات تحليلية وأخرى تركيبية.

4 - نشأة الرياضيات:
ضبط الإشكالية: هل المفاهيم الرياضية ناشئة عن العقل أم التجربة؟

1 - موقف العقليين:
يذهب العقليون إلى أن المفاهيم الرياضية من اختراع العقل، فهو الذي ابتكر الأعداد والأشكال وبحث عن العلاقات الرابطة بينها، وحين اكتشف عددها في صيغ معادلات، ولا حد لحرية العقل في ابتكارها، والكشف عما بينها من علاقات سوى الوقوع في التناقض:
والرياضي لا يتقيد بالمحسوسات لأن ما يعنيه هو الكم المجرد أو عملية القياس بغض النظر عما يمكن قياسه من الأشياء .فالمفاهيم الرياضية عقلية صورية ابتكرها العقل، ولم يستخلصها من الطبيعة الحسية، ولا تتوقف صحتها على وجود موضوعات مادية، ولم يهم الرياضي أن يكون مل يدرسه واقعيا، بل يكفيه أن يكون ممكنا عقليا، خاليا من التناقض، فالمفاهيم الرياضية سابقة لكل معرفة تجريبية فهي قبلية a priori فطرية، وما الظواهر الخارجية إلا عامل ثانوي يحفز العقل على ابتكارها. وهكذا تكون مبادئ الرياضيات

موجودة بالضرورة في طبيعة العقل يركبها شيئا فشيئا حتى تصل إلى أعلى مراتب التركيب، وتكون الرياضيات درجة عالية من المنطق قال لايبنتز Leibniz " أصلها إدراك فكرة (العلاقة) بين المفاهيم ثم الانتقال منه إلى فكرة المجموعة ومنه إلى فكرة الصف ومنها إلى استخراج فكرة العدد ثم الترتيب ولا يعتمد أثناء كل ذلك إلا على قوانين المنطق الصوري البحت وقوانين العقل الرئيسة دون التفات إلى التجربة والمحسوس. "

ومما احتج به العقليون: أنه ليس في الطبيعة أعداد بل معدودات أي أشياء كثيرة والمكان الهندسي وهو فراغ متجانس لا نهاية له، لا يشبه المكان المحسوس المشتمل على الأشياء والزمان الذي يجري على وتيرة واحدة كما يدرس في علم الميكانيكا لا يشبه الزمان الذي نحس به بطيئا تارة وسريعا تارة أخرى، ولا يشبه ما تعرفه الطبيعة من دوران الشمس ودور القمر والنجوم والأشكال الهندسية لا توقفنا عليها التجربة، والنقطة الهندسية التي (لا طول لها ولا عرض) مفهوم عن النقطة المحسوسة التي تشغل حيزا من المكان ولو كان ضئيلا والخط في الهندسة (لا سمك له) وهو غير الخط الحسي الذي له سمك ويشغل حيزا. وليس في الطبيعة مضلع ذو ألف ضلع أو غيره. والأعداد السالبة والجذرية والخيالية لا وجود لها في عالم الحس والتجربة والخط الحسي أو المحسوس ليس مستقيما بل منحنٍ (قوس). وصفحة الماء الهادئ ليست سطحا، فالتموجات ترفع الماء بهدوء على الضفتين والخيط ليس خطا مستقيما إلا إذا غضضنا الطرف عن سمك الخيط في عملية التصوير غفلنا عن السمك وحاولنا أن لا ندركه لأننا نفكر في الخط المستقيم ونجرد فكرة الخط من الخيط والتجربة لا تزودنا بصورة محددة عن فكرة المنحنيات كالقطاعات المخروطية بما فيها م قطع مخروطي وقطع زائد وقطع ناقص ولم يكن لليونانيين نموذج القطاعات المخروطية حين أدركوها بل استمدوها كلها من أذهانهم فكيف تنطبق المفاهيم الرياضية على الواقع إذا كانت عقلية لا تجريبية؟ يجيب العقليون عن هذا السؤال بأن قوانين العقل والمنطق هي قوانين الوجود فما ينطبق على المحسوس مادام أساسا المحسوس تركيبات عقلية خالصة، فقوانين العقل تنطبق على الواقع لأنه عقلي خاص والإدراك الحسي لا يفسر الهندسة بل هي تفسره، قال "غوبلو": "الرياضيات مستقلة عن الواقع ولا تشترط مطابقتها له لتكون صحيحة." ومن أنصار المذهب العقلي الفيلسوف اليوناني أفلاطون الذي كان يرى أن العالم الحسي المدرك بالحواس نستمد من الواقع المعقول أو عالم المثل، وهو صاحب القول المشهور: " من لم مهندسا لا يدخل علينا " والرياضي روني ديكارت القائل بأن بعض الأفكار فطرية في النفس أزلية ومنها المفاهيم الرياضية ومالبرانش – 1638 / 1716 – الذي يرى أننا حين ندرك حسيا نرى في الله يعني أننا نرى عالم الإنسان من خلال الامتداد المعقول وعن طريقه نرى الامتداد المعقول في العقل الإلهي ولاينيتز (1646/ 1716) القائل:"وجود العالم حين كان الله بحسب" ويمكن أن نقول

معه وجود العالم حين كان الإنسان يحسب وإيمانويل كانت الذي يرى أن مفهوم المكان والزمان والعلية مفاهيم سابقة على التجربة فهي قوالب للإحسان يصب فيها كل ما ندركه من المحسوسات بالتجربة، يفرضها العقل على الأشياء الخارجية ويطبقها عليها، ويميز بين أحكام المنطق وأحكام الرياضيات فالأولى تحليلية والثانية تركيبية فالتحليلية تحصيل حاصل ليس في محمولها جديد لم يتضمنه موضوعها فلا جديد فيها مطلقا والتركيبية أساسها الجدة ففي محمولها من المعاني الجديدة ما لا يشتمل عليه موضوعها صراحة، وضمنيا ليست جدتها مستمدة من التجربة بل صادرة عن صور قبلية في طبيعة العقل. والمذهب العقلي أو القبلي صحيح إن أسنا فهمه وهو في أبسط صوره الاعتقاد بوجود علم عقلي فطري نكتشفه قبل التجربة وملكة خاصة ندرك به المعاني ونراها كما نرى الأجسام وهي نوع من الإحساس ينصب على شيء غير مادي.

المناقشة:

لكن تاريخ الرياضيات يبين لنا أن المفاهيم والمعاني الرياضية لا يمكن اعتبارها مفاهيما عقلية صرفة، بل هي مستوحاة من الطبيعة ومستمدة من التجربة، فالعمل الرياضي بدأ حسيا وتدرج في الجريد شيئا فشيئا إلى درجة عليا، كذلك يمكن التأكيد بأن الطفل لا يفرق بين العدد والأشياء المعدودة ولا يصل إلى مفهوم العدد إلا بواسطة العمل الذهني.

2 - موقف التجريبيين:

يرى أنصار المذهب التجريبي أن لمعارفنا كلها أصلا تجريبيا ومنها المفاهيم والقضايا الرياضية، وهو حقيقة لا شك فيها، لأننا لا نستطيع معرفة شيء قبل التجربة وكل معارفنا ناشئة عن التجارب والحواس أو الخبرة الحسية والتجربة وحدها سبب معارفنا كلها والمبرر لها. فالمفاهيم الرياضية وإن بلغت أقصى مراتب التجريد والاستقلال عن الحس ليست فطرية في العقل بل هي مكتسبة عن طريق الحواس اكتسبها العقل بالملاحظة والتجربة في مستمدة من المحسوسات فكيف نشأت إذا في العقل؟ يجيب التجريبيون عن هذا السؤال: إن الإنسان لاحظ ظواهر الطبيعة منذ القدم وقاس أبعادها وسطوحها وأشكالها، واستعمل الأشياء للتعبير عن الأعداد، ثم جرد الأعداد والسطوح والأشكال من المحسوسات، وأقلع عن استخدام أصابعه في عد الأشياء كما يفعل الأطفال ووضع الأعداد وتكونت عنده فكرة الدائرة من وحي الشمس والقمر وفكرة الأسطوانة من وحي جذوع الأشجار وعملية التجريد هي التي جعلتها تبدوا لنا كأنها ذات طبيعة قائمة بذاتها، ويعترف التجريبيون بأن المحسوسات لا تطابق المفاهيم الرياضية مطابقة تامة فليس في الطبيعة مثلثات ومربعات ودوائر في دقة ما يدرسه عالم الهندسة، بل إن الطبيعة لتبدوا لحواسنا مخالفة لها. فطبيعة الأرض تسمح بوجود خطوط مستقيمة، لكنها تحتوي على أشياء

مختلفة الأحجام والسطوح والأشكال تصبح أساسا لتجريد المفاهيم الرياضية. ومما يحتج به التجريبيون أن الخيط الممتد يوحي لنا بفكرة الخط المستقيم وصفحة الماء الهادئ توحي بفكرة السطح المستوي وأن العد ليس إلا إضافة واحد إلى آحاد كإضافة برتقالة إلى أخرى، وإن تاريخ الرياضيات يشهد بأنها نشأت عن طريق التجربة وتطورت نوح التجريد، ثم تحولت مبادئها الأولية أمورا تتقدم على المنطق، وأننا لا نجد عناءا في تطبيق الرياضيات على ظواهر الطبيعة مما يتيح للعالم أن يتوقع الظواهر فكيف لا تنطبق على الواقع؟ وقد ظهر المذهب التجديدي في القرنين السابع عشر والثامن عشر على يد المدرسة التجريبية الإنجليزية.

المناقشة:

لو كانت المفاهيم والمعاني الرياضية مأخوذة من التجربة الحسية كباقي المعاني والمفاهيم لتبدلت كالعلوم الأخرى، وهذا مل لا نجده في المعاني الرياضية فهي ثابتة كذلك الأدلة المقدمة لا تدل إلا على أن التجربة كانت حافزا للعقل على تجريد المعاني الرياضية.

النتيجة:

نستنتج مما سبق ذكره أن المفاهيم والمعاني الرياضية ترجع في أصلها إلى التجربة والعقل فقد ابتدأت تجريبية وتطورت بواسطة العقل وأصبحت تجريدية فقد نشأت الرياضيات مرتبطة بالجانب العملي وبعضها الآخر عقلي حيث كانت في بدايتها متصلة بالحياة الحسية العملية للإنسان ثم شيئا فشيئا أصبحت مجردة عقلية.

3 – منهج الرياضيات: طالما أن الرياضي يتناول موضوعا نظريا مجردا وينطلق من مبادئ عقلية فالأكيد أن المنهج الذي يتبعه الرياضي هو منهج عقلي أي أن طريقة البرهنة في الرياضيات استنتاجية ينتقل فيها الرياضي من مقدمات وصولا إلى نتيجة لازمة بصورة ضرورية، على أن طابع الحركة في البرهنة الرياضية وفي الاستنتاج الرياضي ثنائية يمكن أن تكون تحليلية أو تركيبية.

أ/ البرهان التحليلي: وهو طريقة للبحث ينتقل فيها الفكر من الكل إلى الجزء أو من قضايا عامة إلى أخرى خاصة، وهو الذي ينطلق فيه الرياضي من قضايا معقدة أو عامة إلى قضايا بسيطة أو خاصة قد تكون مبدءا من المبادئ لسابقة.

مثلا: البرهنة على أن مجموع ضلعي أي مثلث أكبر دائما من الضلع الثالث.

ترد هذه القضية إلى المسلمة القائلة: المستقيم أقصر طريق بين نقطتين.

يشمل على نوعين:

1 – البرهان التحليلي المباشر.

2 – البرهان التحليلي غير المباشر أو ما يسمى بالبرهان بالخلف.

ب/ البرهان التركيبي: وهو منهج بحث ينتقل فيه الفكر من الجزء إلى الكل أو من المبادىء إلى النظريات أو من قضايا خاصة إلى أخرى عامة وهو الذي ينطلق فيه الرياضي من قضايا بسيطة أو خاصة في حركة إنشائية تركيبية ليصل إلى نتيجة معقدة أو عامة.
مثلا " ضرب معادلتين من الدرجة I يؤدي وينتج معادلة من الدرجة II.
ويعود تطور الرياضيات إلى هذا المنهج لأن النتيجة فيه تأتي بالجديد، بينما البرهان التحليلي يستخدم للبرهنة على صحة المعارف التي سبق الوصول إليها.

4 - مشكلة أساس الرياضيات:

إن ما وضحناه سابقا من مبادئ وطريقة للبرهنة فهو في الحقيقة متعلق بما يعرف بالرياضيات التي وضعها وأسس لها إقليدس وظلت تلك المبادئ كذلك إلى غاية القرن 19 حينما حاول لوبا تشوفسكي (1856-1793) أن يبرهن المسلمة 05 لإقليدس فوجد نفسه أمام نسق جديد، إذا افترض أن من نقطة خارج مستقيم يمكن أن نمرر عددا لا متناهيا من الموازيات ثم محاولة ريمان (1826-1866) الذي افترض أنه من نقطة خارج مستقيم لا يمكن أن نمرر أي مواز على الإطلاق ليجد هو الآخر نفسه أمام نسقا ثالثا متميزا.
مثلا: نسق ريمان نسق لوبا تشكوفسكي نسق إقليدس.
- السطح كروي محدود -0 < من نقطة خارج مستقيم لا يمكن أن نمرر أي مواز على الإطلاق.- مجموع زوايا المثلث أكبر من 180 - السطح مقعر يمتد إلى ما لانهاية انحناؤه أقل من الصفر- من نقطة خارج مستقيم يمكن تمرير عدد لا نهائي من المتوازيات- مجموع زوايا المثلث 180 > السطح مستو يمتد إلى ما لانهاية إنحناؤه = 0- من نقطة خرج مستقيم لا يمكن أن نمرر إلا مواز واحد فقط - مجموع زوايا المثلث = 180.
هذه الملاحظات طرحت السؤال التالي: هل المبادئ التي وضعها إقليدس ضرورية في الرياضيات أم أن هذه المبادئ لا تلزم إلا الرياضيات الإقليدية التقليدية؟ هل يعني ذلك أننا لا يمكن الحديث عن بديهية في الرياضيات؟ وإذا كان هذا الفرض ممكنا كيف سننظر إلى اليقين الرياضي هل مطلق أم نسبي؟
الموقف الأول أنصار الرياضيات التقليدية: المبادئ في الرياضيات بديهيات ثابتة ومن ثمة فالمبادئ لازمة لكل رياضي حفاظا على اليقين الرياضي، لقد ظل ديكارت معجبا بفكرة البداهة وجعلها من الأفكار الفطرية الخالدة، وسعى جاهد لتصور منهج في الفلسفة، قائما على البداهة "لا أقبل شيئا على أنه صحيح إلا إذا كان بديهيا" وعليه فمهمة الرياضي هي الإضافة وليست إعادة النظر.
إن الغاية من الالتزام بمبادئ الرياضيات كما وضعها إقليدس هي ضمان اليقين للرياضيات.

المناقشة:

يبدو هذا الموقف متماسكا من الناحية النظرية، ولكن تاريخ الرياضيات وتطورها أثبتا العكس، إذ أمكن مراجعة المسلمة الخامسة لإقليدس.

الموقفII: أنصار الرياضيات الأكسيومية: إذا عدنا إلى الأنساق لسابقة تبين لنا أن الرياضيين المحدثين لا يرون حرجا في إعادة النظر في المبادئ. ليس هنا بديهيات ثابتة، بل الموجود أوليات Axoimes وهي قضايا بسيطة لا نحكم عليها لا بالصدق ولا بالكذب، بل مجرد منطلقات يحق للرياضي أن يضع منها ما يشاء وفعلا لقد استطاع ريمان أن يفترض أنه من نقطة خارج مستقيم لا يمكن أن نمرر أي مواز على الإطلاق وافتراض لوباتشوسكي أنه من نقطة خارج مستقيم يمكن أن نمرر عددا لا نهائيا من المتوازيات.

النقد: رفض البديهيات ترتبت عليه أزمة حادة في الرياضيات عرفت بأزمة اليقين الرياضي.

نتيجة: في ظل الجدل السابق انتهت الرياضيات إلى أن تعدد الأنساق أصبحت حقيقة قائمة وليس من حق أيا كان أن يقيس نتائج نسق بنسق آخر بل كل نسق يتوفر على اليقين طالما هنالك تماسكا منطقيا بين النتائج والمقدمات ليصبح وضع الأوليات شرطا في الرياضيات الحديثة.

5 – علاقة الرياضيات بالمنطق:

تنتمي الرياضيات إلى العلوم الصورية فموضوعاتها نظرية مجردة ومنهجها استنتاجي تلزم فيه النتائج عن المقدمات وهو أمر مر بنا في المنطق الصوري، إذ يتميز الاستدلال فيه بكونه استنتاجيا، ثم أن تطور الرياضيات انتهى إلى ما يسمى بالمنطق الرياضي فهل يعني أن الرياضيات ترتد إلى أصول منطقية أم أن الرياضيات رياضيات والمنطق منطق؟

ضبط الإشكالية: هل ترجع الرياضيات إلى أصول منطقية؟

1 – الموقف الأول:

يرى أنصار النزعة الشكلية أو الاتجاه الرياضي المنطقي الذين في مقدمتهم الفيلسوف والرياضي البريطاني برتراند راسل (1872 / 1970) أن الرياضيات ترجع إلى أصول منطقية فالاختلاف بينهما كالاختلاف بين الطفل والرجل فالمنطق شباب الرياضيات والرياضيات تمثل طور الرجولة للمنطق، وقد أكد أن الرياضة والمنطق تاريخيا نوعين من الدراسة متميزين تماما فقد ارتبطت الرياضيات بالعلم والمنطق باللغة اليونانية لكن كلاهما تطورا في الأزمنة الحديثة فاشتد الطابع الرياضي في المنطق واشتد الطابع المنطقي في الرياضيات مما ترتب عليه استحالة وضع خط فاصل بينهما فالعلاقة التي تربطهما هي اتصال إلى حد التطابق.

المناقشة:

نحن لا ننكر العلاقة بين المنطق والرياضيات لكن لا يعني أن كلاهما واحد فلا يمكن إغفال الاختلافات الموجودة بينهما الرياضيات تختلف عن المنطق في المفهوم والموضوع والمنهج والقول بالمطابقة فيه نوع من المبالغة.

٢ - الموقف الثاني:

يرى أنصار النزعة الحدسية والذين في مقدمتهم بوانكاري وبروير أن رد الرياضيات إلى أصول منطقية أمر غير ممكن فالعلاقة الموجودة بينهما هي علاقة انفصام فالرياضيات لديهم تدرس موضوعا خارجا ومستقلا عن العمليات المنطقية ذاتها أو كما يقول روني ديكارت: " هناك حقائق بسيطة يستطيع الذهن إدراكها وقد تصور أفلاطون قديما أن كائنات الرياضيات مثل واقعية نكتشفها بالتأمل كما أكدوا بأن الأسبقية التاريخية للرياضيات عن المنطق.

المناقشة:

إن الاختلاف بين الرياضيات والمنطق لا يفيد بأن العلاقة بينهما هي علاقة انفصال تام فرغم التباين فهناك تأثير متبادل بينهما وهذا ما هو مؤكد تاريخيا حيث أن تطور المنطق يرجع الفضل فيه إلى استخدام اللغة الرياضية وتوظيف علاقاتها.

النتيجة:

ما نستنتجه من تحليلنا السابق أن التطور الذي عرفه المنطق الصوري وتعمق البحث في فلسفة الرياضيات كشف العلاقة الوطيدة بين العلمين والتماثل الصوري الواحد الذي يمثل نقطة مشتركة بينهما وإن كان كل واحد منهما علم قائم بذاته مع توسع وعمق مجال الرياضيات مقارنة بالمنطق مما يجعل فكرة تطابقهما أمرا غير ممكن.

٤/ قيمة الرياضيات وحدودها:

كتب أرسطو قائلا: "إن نبل الرياضيات يرجع إلى أنها لا تحقق أية منفعة" بمعنى أن قيمة الرياضيات تكمن في كونها نظرية مجردة منزهة عن كل ما هو مادي، وسميت الرياضيات كذلك لأنها رياضة عقلية، لكن ظهور العلوم المختلفة واستعارتها لغة الدقة من الرياضيات، غير النظرة إلى الرياضيات وأصبح يعول عليها كثيرا في فهمنا للواقع.

ضبط الإشكالية: فكيف ذلك؟ أين يتجلى أثر الرياضيات وما قيمة هذا التأثير؟

إن قيمة الرياضيات تتجلى في اليقين الذي تعرف به المفاهيم الرياضية من جهة، وفي اللغة التي تستعيرها العلوم من جهة ثانية. وتعتبر الرياضيات نموذجا في الوضوح واليقين وإذا بقيت حتى الآن أكثر العلوم تقدما، فالسبب في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كون

الظواهر الرياضية أقل الظواهر تركيبا وأكثرها ارتباطا في ما بينها وبالدرجة الثانية ما يتسم به المناخ الرياضي فمثلا المربع يتجلى في أذهاننا واضحا لا يساوره أي غموض فهو حقيقة ثابتة إنه سطح أو شكل هندسي ذو أربع أضلاع مستقيمة ومتساوية فهو شكل لا تقوى على تحقيقه في المجال الحسي ريشة أمهر رسام. فيقين الرياضيات لا يتأتى من طبيعة المفاهيم المجردة، إنما يتأتى أيضا من المنهاج المشتق من طبيعة المفاهيم هذه.... فالتفكير الرياضي مثلا يعتمد أساسا على المبادئ الرياضية، البديهيات والتعريفات، المصادرات. فهو لا يستطيع الاستدلال إلا انطلاقا من تحديد مفهوم الشيء وحصر خواصه النوعية وصفاته العرضية.. فإذا قلنا على سبيل المثال لا الحصر إن قياس زوايا المثلث الداخلية يساوي قائمتين يكون معنى ذلك أننا سلمنا باستواء السطح والمكان الذي يتمتع بثلاث أبعاد وهذا ما جعل كانت يقول: "إن الرياضيات تنفرد وحدها في امتلاك التعريفات ولا يمكن أبدا أن تخطيء"، وقيمة التفكير الرياضي تلتمس في الأشياء أو في التركيب وقد رحب بهذه الحقيقة كل من التصور الأداتي والتصور المثالي فيرى هنري بوانكاري في هذا الشأن أنها تعطي العالم الفيزيائي لغة وحيدة يعبر بها فيقول بوانكاري أنها لغة ذات قوة عجيبة في التغيير والتنبؤ فالفيزياء الرياضية ما كانت لتقوم إلا يوم فكر كيبلر وغاليلي باستخدام الأعداد بنية معرفة الكون المادي فهل صحيح أن الرياضيات تقوم على أسس يقينية ؟ قليل من النظر يبين لنا أن الحقائق الرياضية ذاتها تتصف باليقين وعندما نلجأ إلى التطبيقات التجريبية تفقد دقتها فتصبح تقريبية فلو أردت مثلا قياس سطح حقل مربع الشكل فإن القاعدة الهندسية لا تعطي قيمة مطلقة ذلك أن الحقل يكون مربع الشكل تقريبا والشأن نفسه حين أريد تقريب العدد π حسابيا لأنه يتعلق بالدائرة وقطرها بدقة، فإذا لم تكن الرياضيات دقيقة انقلبت إلى تقريبية فيقول ألبرت أينشتاين: "إن الرياضيات بقدر ما ترتبط بالواقع بقدر ما تكون غير يقينية وبقدر ما تكون يقينية بقدر ما تكون غير مرتبطة بالواقع " أي أنها كلما كانت قريبة من الواقع كلما كانت تقريبية وكلما كانت بعيدة عن الواقع كانت يقينية ولكن لو إستثنينا ميدان التجريب فإنه يمكن أن نقترب أكثر من الرياضيات فلم يتوقف فضلها على العلوم عند حد إلهامها إلى فكرة التسلسل المتماسك بل تعداها إلى ترقية منهاج بعض العلوم إلى مرحلة الاستنتاج، حيث تستنبط القوانين انطلاقا من مبادئ عامة أو نظريات شاملة، فكان أن حكم العالم لوفرييه رياضيا بضرورة وجود الكوكب نيبتون قبل أن يعرفه الجمهور ويشاهده الملاحظون الفلكيون لأن البرهان الرياضي المضبوط كان يقتضي بالضرورة افتراض وجود هذا الكوكب كما أن العلم استطاع بفضل الرياضيات أن يدخل القوانين الخاصة تحت قوانين شاملة مصوغة في دساتير عامة كما فعل لابلاس في معادلته التي تدخل فيها عدة قوانين خاصة كقانون الجاذبية العامة

وقانون حركة السوائل وبعض قوانين الكهرباء والمغناطيس وقوانين انتشار الحرارة وغيرها... فلم يعد العالم الفيزيائي عامة مثلا يتحدث عن الألوان والأصوات في أسلوب أدبي وظيفي وإنما صار يقصد تحديد موجاتها واهتزازاتها تحديدا كميا له كامل الأقيسة من الرياضيات ولم يعد يتحدث بشأن سقوط الأجسام والانجذاب عن العلة والمعلول بل أصبح يستخدم الرياضيات لاهتمامه بالعلاقة الكمية الثابتة الدائمة التي تستمد بها النسب فإذا كان هذا الشيء قليل على ما يثبت وجود الرياضيات في ميدان العلوم فكيف يمكن إنكار قيمة الرياضيات وإهمال وزنها؟ لا يجب أن تعد الرياضيات ضربا من العبث الفكري كما قد يوحي بذلك تباين الهندسات وما يترتب عنها من نتائج متناقضة، فقليل من النظر يكفي لاكتشاف أن المبادئ الأساسية التي يقوم عليها العقل الرياضي كمبدأ الهوية أو الذاتية أو الثبات ومبدأ عدم التناقض تبقى في مأمن، رغم ذلك التباين التي تحمله الهندسات فقد نسأل في النهاية ببعض من الارتياب هل يصح القول بأن مجموع الزوايا الداخلية لمثلث يساوي قائمتين بالضبط؟ نعم أم لا فإذا قلنا نعم سلمنا بالمسلمة الإقليدية وإذا قلنا غير ذلك فقد سلمنا بغيرها فلو تحدثنا عن الهندسة فقد يكون ما يقوله بوانكاري صحيحا: " إن هندسة ما ليس أكثر يقينا من هندسة أخرى إنما فقط أكثر ملائمة " أي إذا كان يبدوا بعضها غريبا، فذلك ما لم يلائم حدسا فطبيعة المحيط الذي ألفناه وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المنزلة التي يحتلها التفكير الرياضي، وعلى أن الرياضيات لا تزال اللغة السليمة التي يعشقها العقل وتستعيرها المعرفة مع التجربة المتغيرة.

نتيجة: وخلاصة القول تتميز الرياضيات بخاصيتين أساسيتين: أولا كونها كمية دقيقة تعبر عن قضاياها في صورة رموز تعوض التعبير اللغوي المتداول وما فيه من مخاطر الذاتية وتجنب الفكر الوصف الكيفي الساذج.

ثانيا كونها عقلانية صورية تجد انسجامها في منطقها وكأن الرياضيات جمعت بين خاصيتين جوهريتين الدقة من جهة واليقين من جهة ثانية، هذا ما جعل الرياضيات مطمح العلوم، بل أصبحت علمية العلم موقوفة على مدى لتشبيه بالرياضيات إذ عدها أو جست كونت "آلة ضرورية لجميع العلوم" ووصفت بأنها "العلم السيد"...

ونقرأ هذا التأثير في العلوم التجريبية المختلفة، فإذا أخذنا على سبيل المثال الفيزياء لتبين لنا أن النقلة النوعية في هذا العلم كانت مع غاليلي الذي كان يقول: "إن الطبيعة كتاب مفتوح نقرأ فيه بلغة رياضية" بل يردف قائلا: "إن الفيزياء الحقة هي تلك التي تمارس ممارسة قبلية" أي تتصور في الذهن قبل أن تمارس في الواقع العملي وكأن الفيزياء ما أصبحت علما إلا حينما استعارت الخاصيتين التكميم والعقلنة، إن تأثر الفيزياء بالرياضيات لم يبق في حدود اللغة والرمز بل أصبحت دقة القانون مرهونة بصياغتها رياضية...

▪ المشكلة الجزئية الثالثة: في العلوم التجريبية الطبيعية والعلوم البيولوجية

تمهيد:

إذا كان ميدان الرياضيات هو المفاهيم العقلية المجردة فإن ميدان العلوم التجريبية هو الواقع المحسوس والملموس وإذا كان المنهج الرياضي منهجا عقليا استنباطيا، فإن منهج العلوم التجريبية، بالضرورة تجريبيا ينطلق فيه العالم من دراسة الوقائع ليصل إلى قانون يحكمها. وإذا عدنا إلى الواقع الذي يعد موضوعا للعلوم التجريبية وجدنا ظواهره متباينة فمنها ما يتصل بالمادة الجامدة وهذه من اختصاص علم الطبيعة (الفيزياء) ومنها ما يتصل بالمادة الحية وهذه تشكل موضوعا لعلم البيولوجيا (علم الأحياء) ومن هذه الظواهر ما يتصل بالإنسان وهي من اختصاص العلوم الإنسانية باختلاف فروعها. تسمى هذه العلوم علوما تجريبية لأنها تتبنى المنهج الاستقرائي التجريبي في أوسع معاينة أي باعتباره منهجا ينتقل الباحث فيه من الظواهر إلى القوانين التي تحكمها. ويمر هذا المنهج بمراحل مختلفة تبدأ بالملاحظة ثم الفرض ثم مرحلة التجريب وصولا إلى القانون وقد حدد كلود برنار هذه المراحل في قوله "الحادث يوحي بالفكرة والفكرة تقود إلى التجربة وتوجهها، والتجربة تحكم بدورها على الفكرة".

والمنهج التجريبي بهذا المعنى لم يكن حديث النشأة بل يعود في جذوره إلى مفكري الإسلام ويمكن أن نذكر بعضا منهم العالم والطبيب الفيلسوف ابن سينا من خلال كتابه "القانون في الطب وأبا بكر الرازي من خلال كتاب "الحاوي" ومن كبار علماء الكيمياء "جابر بن حيان" ومن علماء الطبيعة الأجلاء الحسن بن الهيثم الذي يعد أول من طبق الرياضيات في دراسة الظواهر الطبيعية. فقد تحدث جابر بن حيان عما أسماه بالدّربة والمقصود بها اليوم التجربة واعتبارها شرطا ضروريا لقيام العلم كما تحدث عن ضرورة تحديد المعاني

أو ما نسميه اليوم بتحديد المفاهيم والمصطلحات ووضع بخصوص ذلك رسالة عنوانها "الحدود". ويرفض قبول أية حقيقة تنقل عن الغير ما لم يتثبت من صحتها تجريبيا أما لحسن ابن الهيثم الذي هو من كبار علماء الطبيعة كما قلنا سابقا فقد طبق المنهج الاستقرائي في دراسة ظاهرة الانعكاس وظاهرة الانعطاف في الضوء وانتهى إلى إبطال الرأي اليوناني القائل أن الرّؤية تتم عن طريق شعاع يصدر عن العين المبصرة. وأثبت أن الأمر يتعلق بالضوء الذي له وجود في ذاته. ومن الأسس الهامة التي أقام عليها منهجه التأكيد على ضمان الأمانة العلمية والتحلي بالموضوعية ويقول "ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا إتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء".

ويعترف مفكرو الغرب أنفسهم بجهود العلماء المسلمين في البحث ومن هؤلاء جون هارمان رائل إذ يقول "كان العرب في القرون الوسطى يمثلون التفكير العلمي والحياة الصناعية العلمية الذين تمثلها في أذهاننا اليوم ألمانيا الحديثة، وخلافا للإغريق لم يحتقر العرب المختبرات العلمية."

ويقول بريفو Brifflault "إن ما ندعوه علما قد ظهر في أوربا نتيجة لروح جديد في البحث وطرق جديدة في الاستقصاء... والطرق التجريبية والملاحظة والقياس، والتطور في الرياضيات في صورة لم يعرفها اليونان، هذه الروح وتلك المناهج أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي..."

إن مثل هذه الشهادات وإن كانت تدل على جهود المسلمين في البحث العلمي إلا أنها لا تجعلنا في غفلة عن التطورات الهامة التي حدثت منذ ذلك التاريخ في مجالات البحث العلمي فلقد أكمل الدرب رواد مبدعون من أمثال روجر بيكون وفرنسي بيكون، جون استورت مل وكلودبرنار.

ضبط الإشكالية: لقد تطورت علوم المادة أو العلوم التجريبية والبيولوجية على مر الأزمنة والعصور في أبحاثها ويعود الفضل في ذلك إلى تطبيق المنهج التجريبي فما المقصود بهذا الأخير؟

تعريف المنهج التجريبي:

المنهج من الناحية الإصطلاحية هو أقصر طريق لبلوغ أهداف مرجوة وغايات منشودة.
والمنهج التجريبي هو طريقة للبحث العلمي غايته بلوغ الحقيقة العلمية، يعتمد على خطوات عديدة من بينها التجربة وقد إختصر خطواته عالم الأحياء الفرنسي كلود برنار في كتابه مقدمة في الطب التجريبي حيث قال: " الحادث يوحي بالفكرة والفكرة تقود إلى التجربة والتجربة تحكم بدورها على الفكرة."

خطوات المنهج التجريبي:

يرى جملة من العلماء الذين من بينهم عالم الأحياء الفرنسي كلود برنار أن البحث العلمي يتم وفقا للطريقة العلمية أو المنهج التجريبي الذي يتكون من الملاحظة العلمية والفرضية والتجربة والقانون العلمي فالحادث يوحي بالفكرة والفكرة تقود إلى التجربة والتجربة بدورها تحكم على الفكرة أي أنه يتكون من الخطوات الآتية:

أولا: الملاحظة العلمية وهي الخطوة الأولى في البحث العلمي يتم فيها مشاهدة ومعاينة ومراقبة الظاهرة المشكل من أجل الإلمام بخصائصها لإيجاد تفسير أو حل مؤقت لها وهي تختلف عن الملاحظة العامية باعتبار أنها تتميز بالعمق والدقة والتنظيم والقصدية واليقين والموضوعية والعموم لأنها إشكالية لا تنتهي بانتهاء الظاهرة من العالم الخارجي وهي خالية من المنفعة ومتعددة تشمل ما يلي:

1/ الملاحظة العادية التي تتم بالحواس فقط.

2/ الملاحظة المجهزة أو المسلحة وهي التي تعتمد على التقنية أو الوسائل المبتكرة مثل المجاهر وأنواعها.

3/ الملاحظة الكيفية وهي التي تستند إلى الوصف.

4/ الملاحظة الكمية وهي التي تعتمد على القياس أو التقدير الكمي ويمكن أن نوظف فيها اللغة الرياضية.

ومن شروط الملاحظة العلمية ما يلي:

أ - يجب أن تتوفر ظاهرة للملاحظة.

ب - يجب وجود ملاحظ أي عالم سليما من الناحية العضوية والنفسية (خاليا من الأمراض العضوية والسيكولوجية).

جـ - يجب أن يتحرى الملاحظ الموضوعية فينقل ما وقع كما هو دون تعديل فيكون مماثلا لآلة فوتوغرافية أو آلة التصوير.

د - يجب توفر الأجهزة مع سلامتها من أي عطب أو خلل تقني.

هـ - يجب أن يكون الملاحظ مالكا للدراية ولمعرفة كيفية استخدام هذه الأجهزة. فكل بحث علمي يبدأ بالملاحظة العلمية يمكن الباحث من وضع الفرضية.

ثانيا: الفرضية هي الخطوة الثانية في البحث العلمي تعبر عن مجهود عقلي يستهدف إيجاد حل يخلص الباحث من التناقض الذي طرحته الظاهرة المشكلة فالفرضية فكرة تسبق التجربة وهي ضرورية للبحث لأنها نقطة انطلاق لكل استدلال تجريبي، وقد عرفت بأنها

نغزة في المجهول أو أنها مشروع قانون، فالفكرة هي مبدأ كل برهنة وكل اختراع وإليها ترجع كل مبادرة نابعة من العقل موجهة للتجربة فالتجارب التي لا توجهها فروض ليست تجاربا علمية.

- ضرورتها:

إن الحديث عن خطوات المنهج التجريبي كمنهج بحث علمي يقوم أساسا على الاستقراء أثار جدلا حادا بين الحسيين التجريبيين وبين العقليين.

ضبط الإشكالية: أيهما أهم في الاستقراء العلمي الملاحظة والتجربة أم الفرضية؟ وبصيغة أخرى هل بناء الوقائع العلمية هو مجرد قراءة بارعة لهذه الوقائع من خلال الملاحظة الحسية الدقيقة أم أن المعرفة والاستقراء العلمي إبداع عقلي يتحدد من خلال الفرضيات؟

- الاتجاه الحسي التجريبي: يؤكد أنصار هذا الاتجاه أن البحث العلمي تقدم وتطور بفضل التجربة التي تعد عملية حسية خالصة ومن هؤلاء أصحاب المدرسة الانجليزية ممثلة بدافيد هيوم الذي لا يعترف إلا بنشاط الحواس كمصدر للمعرفة وبالنسبة لقيمة ما تمدنا به الحواس مثلا الحواس مثلا نجد أرنست ماخ الذي يذهب إلى التأكيد بأن الطبيعة بالنسبة للإنسان هي جملة العناصر التي تقدمها له حواسه، أي أن المصدر الوحيد للمعرفة هي الحواس، فما الأشياء إلا مجرد رموز ذهنية لمركب من الإحساسات تتمتع باستقرار نسبي لأن كل الأشياء في الطبيعة تتغير ثم أن العناصر الحقيقية في الطبيعة ليست هي الأشياء ولكنها الألوان والأصوات، والضغوط اللمسية والأمكنة والأزمنة أي كل ما نسميه بالإحساسات.

الحجة: ويمكن أن نستنبط حجة هؤلاء من أن كل معارفنا مهما كانت معقدة ومهما كانت مجردة ونظرية تنحل إلى إحساسات تتكون بالملاحظة والتجربة إذن فالإحساس مصدر لمعرفتنا بما في ذلك العلمية.

النقـد: مهما كانت قيمة الحواس ومهما كانت قيمة التجربة فإننا لا يمكن إنكار أو إهمال دور العقل إن المثال التالي يوضح ما نريد لقد ذكر كلود برنارد أن فرنسو هوبر (1831-1950) وهو عالم فيزيائي كان أعمى غير أنه ترك تجارب رائعة كان يتصورها ثم يطلب من خادمه أن يجريها، ولم تكن لخادمه أية فكرة علمية أي كأن هوبر هو العقل الموجه الذي يقيم التجربة، لكنه كان مضطرا إلى استعارة حواس غيره إن هذا المثال يوضح أن الاستقراء العلمي إبداع عقلي.

- الاتجاه العقلي: في المقابل للاتجاه السابق يعتقد أنصار الاتجاه العقلي أن العقل أداة الخلق العلمي لقد مثل هذا الاتجاه قديما ديكارت من خلال مقولته الشهيرة أنا أفكر إذن أنا

موجود ليمثل هذا الاتجاه حديثا في العلم مجموعة كبيرة من فلاسفة العلم ومنهم أنشتاين، بوانكاري. لقد قيل "الفكرة هي مبدأ كل برهنة وكل اختراع وإليها ترجع كل مبادرة" أما ما قال أنشتاين فهو أن: "العلم هو من خلق العقل الإنساني بواسطة أفكار وتصورات اختراعات بحرية".

أما بوانكاري فأكد من خلال كتاب "العلم والفرض" أن التجربة هي الينبوع الوحيد للحقيقة، هذا أمر لا يجادل فيه أحد، لكن من التجارب ما هي جيدة منها ما هي رديئة والتجارب الرديئة مهما تكاثر عددها لا تفيد وتكفي واحدة يقوم بها عالم ممتاز مثل باستور ليقضي عليها جميعا"إن التجربة الجيدة هي التي يقودها العقل ويوجهها.

النقـد: صحيح أن دور العقل ينبغي أن يكون إيجابيا وفعالا في البحث العلمي غير أن هذا ليس مبررا للقول أن المعرفة العلمية والاستقراء العلمي يعود الفضل فيه للتجربة وهذا ما جعل باشلار يوضح بأن زمن التجارب الفضولية قد ولى كما أن زمن لفروض المؤقتة قد زال، إن العمل العلمي الحقيقي يدرك من خلال تبادل النصح والتوجيه بين العقلانية والواقعية ولا يمكن إقامة البرهان العلمي بدون أحدهما.

النتيجـة: وأيا كان الصراع حول طبيعة الاستقراء ، فإن المنهج التجريبي الاستقرائي يقود في النهاية إلى تفسير الظاهرة أو الحادثة محل الدراسة.

ثالثا: التجربة وهي الخطوة الثالثة في البحث العلمي تعرف بالملاحظة المصطنعة يتم فيها إحداث الحدث كما حدث أو إيقاع الواقعة كما وقعت يتسنى فيها للمجرب التحقق من صحة الفروض العلمية ويشترط فيها ما يلي:

أ/ أن تكون قابلة للإعادة والتكرار

ب/ يجب توفر الأجهزة فيها مع سلامتها من أي عطب أو خلل تقني

جـ- يجب أن يتم فيها التأكد من صحة الفروض العلمية

د- يجب أن يتحرى فيها المجرب الموضوعية وفي هذا نصح "ماجيندي" تلميذه "كلود برنار" قائلا له أترك عباءتك وخيالك وراء باب المخبر

هـ- يجب أن يكون المجرب مالكا للدراية في كيفية استخدام الأجهزة أثناء التجربة. وهي تختلف عن الملاحظة الإشكالية وهذا ما هو مؤكد في قول كوفييه : "إن الملاحظ يصغي لهمسات الطبيعة بينما المجرب يسألها ويرغمها على الجواب ".

رابعا: القانون العلمي وهو الخطوة الأخيرة التي يتم فيها صياغة النتائج المستنبطة من التجربة وهو حل أو تفسير للظاهرة المشكل أو ما يترتب عن التجربة من نتائج هي حلول

للقضية المطروحة أو الظاهرة التي يبحث فيها ويشترط فيه حتى يتوفر على الدقة واليقين والموضوعية أن يتم صياغته على شكل دالة رياضية. ففهم الظواهر لا يعني اكتفاء الفكر بالملاحظة وتسجيله تسجيلا آليا بل إن فهمها يعني انفعال الفكر بما يلاحظه بناءا على معرفة سابقة إذا فنشاط الفكر يتجلى واضحا في استعمال الذاكرة والمخيلة والوظائف النفسية أو العقلية لتصور العلاقة بين الظواهر من جهة ثم في تنسيق النتائج المحصل عليها وترتيبها عقليا ترتيبا معينا، ويعبر عنها بلغة رياضية دقيقة، فالمنهج التجريبي بخطواته الأربعة لعب دورا كبيرا في تطور المعرفة العلمية كما أن التجربة التي قام بها العالم كلود برنار حول بول الأرانب تفيد تكامل الخطوات الأربعة ودورها في وصوله إلى حقائق جديدة، حيث أكد في نهاية بحثه أن الكائن الحي يتغذى من مدخراته في حالة الصوم أو الامتناع عن الطعام.

النتيجة: ومنه نصل إلى القول بأن المنهج التجريبي يتطلب تنظيما فكريا خاصا في تطبيق مراحله فكل خطوة تكمل الأخرى حيث أننا لا يمكن استبعاد أي خطوة من الخطوات
وحتى تكون الفرضية ضرورية للبحث العلمي يجب أن تتوفر على جملة من الشروط هي:
أولا يجب أن تكون فكرة عقلية مرتبطة بالعالم الخارجي وليست بعيدة عن الواقع.
ثانيا يجب أن تكون حلا مؤقتا يحتمل الصدق أو الكذب.
ثالثا يجب أن لا تحمل تناقضا في ذلتها أي أن لا تتعارض مع مبادئ العقل كمبدأ عدم التناقض.
رابعا: يجب أن لا تتعارض مع المبادئ والقوانين العلمية التي أثبت العلماء صحتها.
خامسا: يجب أن يتحرى العالم في صياغتها الموضوعية والدقة.
سادسا: يجب أن تكون حلا لظاهرة محددة في العالم الخارجي.

الحتمية واللاحتمية:

ليس هناك تعريف دقيق وواحد للعلم، فقديما عرفه أرسطو بأنه المعرفة الكلية الضرورية أما أوغست كونت فيرى أنه جملة من المعارف اكتسبت ونظمت بطريقة منهجية. فهو ينطلق من ملاحظة الظواهر ويهدف التعبير عنها بعلاقات رياضية وهو بذلك يحاول الاعتماد على مبدأ يرجع حدوث الظاهرة إلى شروط معلومة، باعتبار أن تلك الواقعة لا يمكن أن توجد أو تحدث إلا إذا توفرت شروط وجودها، كما أن في حالة ما إذا توفرت هذه الشروط فإن وجود الظاهرة يصبح ضروريا ولذا اصطلح العلماء على تسمية هذا المبدأ القائل بثبات النظام الطبيعي وإطراده في جميع أنواع الظواهر بمبدأ الحتمية، فالعلم ينطلق من ملاحظة الظواهر ويهدف التعبير عنها بعلاقات رياضية وهو بذلك يحاول الاعتماد على مبدأ يرجع حدوث الظاهرة إلى شروط معلومة يسمى بمبدأ الحتمية.

ضبط الإشكالية: يا ترى هل مبدأ الحتمية مطلق؟

الموقف الأول:

يرى كل من "كلود برنار ولابلاس وباسكال وهنري بوانكاري" أن الحتمية تتمثل في الترابط العضوي بين الظاهرة وشروطها لأن كل ظاهرة طبيعية مقيدة بشروط تحدثها، وأن تكرار نفس الشروط يؤدي إلى تكرار نفس الظاهرة. إذن فالحتمية هي العلاقة الضرورية التي تتحكم في الظواهر وعلى هذا الأساس فالطبيعة خاضعة لنظام ثابت مطرد. لذلك فمبدأ الحتمية مطلق والتنبؤ العلمي أمر ممكن. فالموقف الحتمي يقسم الظواهر عموما إلى نوعين:

أولا: ظواهر ميكروفيزيائية: تشمل عالم الذرة والإلكترونات

ثانيا: ظواهر ماكروفيزيائية: تشمل عالم الكون أو الظواهر الكونية الكبرى

كل هذه الظواهر خاضعة لمبدأ الحتمية يقول لابلاس: "يجب علينا أن نعتبر الحالة الراهنة للكون نتيجة لحالاته السابقة التي تأتي بعد ذلك مباشرة." إذن ما يترتب عن موقف لابلاس هو أن جميع الظواهر سواء كانت بسيطة أو مركبة، جامدة أو حية خاضعة لنظام واحد. فليس هناك صدفة أو احتمال أو حرية اختيار فالحتمية مبدأ مطلق فكلما توفرت نفس الشروط فإنها تؤدي إلى نفس النتائج.

المناقشة:

إن العقل البشري يحاول دائما القضاء على مبدأ الصدفة والجهل الذي يشعر به إزاء حدوث الظواهر لذلك لا يمكنه التخلي عن مبدأ الحتمية لكن الإنسان لا يزال عاجزا عن التنبؤ بكل ظواهر الطبيعة خاصة ما يتعلق بالعالم الأصغر مما أصبح يطرح علامات استفهام أمام مبدأ الحتمية.

الموقف الثاني:

أما علماء القرن العشرين فقد ذهبوا إلى القول بأن الحتمية مبدأ ليس مطلقا ولا يصدق على الظواهر الطبيعية وخاصة العالم الأصغر، إذ ليست من خلال الحقائق العلمية الجديدة فالعالم الميكروفيزيائي أي العالم الأصغر أو الظواهر اللامتناهية في الصغر تفلت من قبضة الحتمية وتدخل في مجال آخر هو مجال اللاحتمية وهكذا فإن معطيات العلم في القرن العشرين زعزعت الاعتقاد في الحتمية المطلقة مما أدى إلى ظهور ما يسمى بأزمة الحتمية فاسحا المجال أمام ظهور فكربة اللاحتمية وهذا ما دفع ديراك إلى القول: "لا سبيل إلى الدفاع على مبدأ الحتمية" ويضيف. " إن الطبيعة عندما تجد نفسها في مفترق الطرق تختار الاتجاه المناسب اختيارا حرا، فلا يمكن التنبؤ إلا على هيئة ما يسمى حساب الاحتمالات. وانطلاقا من بحوث الفيزيائي الألماني هايزنبرغ حول الذرة والنتائج التي أدت إليها لم

بعد الفيزيائيون يتحدثون في مجال الذرة والإلكترون بلغة اليقين أو الوثوق بل أصبحوا يتحدثون بلغة الاحتمال.

المناقشة: لكن رغم هذه الحقائق التي تم اكتشافها والوصول إليها لا يمكن إنكار مبدأ الحتمية في جملته لأن كل ظاهرة مهما صغرت أو كبرت فهي تخضع لشروط محددة، فالظواهر كيفما اتفق ودون أن تسيطر عليها قوانين محددة فهي لا تفلت من قبضة هذا المبدأ وهذا هو السر لأن بعض العلماء يرفضون القول بأن مبدأ الحتمية قد انقضى عهده وولى زمانه.

النتيجة: وخلاصة القول فإن مبدأ الحتمية يحكم الظواهر الفيزيائية والكيميائية كما يحكم بالضرورة الظواهر البيولوجية لأن الأشياء التي تغمرها الحياة تشترك في بعض خصائصها مع الأشياء الجامدة لذلك فهي تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها تلك الظواهر وخضوعها لهذا المبدأ فهو ضروري للبحث العلمي لا يمكن الاستغناء عنه أو تجاوزه في الدراسات العلمية لكنه ليس مبدءا مطلقا وإنما هو مبدأ نسبي كما يمكن التأكيد بأن التنبؤ العلمي ليس أمرا مستحيلا وإنما هو أمر ممكن.

حدود التجربة في البيولوجيا:

ضبط الإشكالية: هل يمكن إخضاع الظاهرة الحية للتجريب؟

الموقف الأول:

يرى أصحاب الاتجاه الكلاسيكي أنه لا يمكن إخضاع الظاهرة الحية للبحث التجريبي أي لا يمكن تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة البيولوجية وقد اعتمدوا لتأكيد هذه الفكرة - أي رفض إدخال المنهج العلمي على الكائنات الحية - على الحجج الآتية:

أولا: إن الجسم الحي لا يتصف بالفردية، بل هو وحدة كلية مترابطة لا يمكن تقسيمها دون أن يحصل خلل أو فساد في طبيعتها يقول كوفييه: "إن سائر أجزاء الجسم الحي مرتبطة فيما بينها، فهي لا تستطيع الحركة إلا بقدر ما تتحرك كلها معا، والرغبة في فصل جزء من الكل معناه نقله إلى نظام الذوات الميتة ومعناه أيضا تبديل ماهيته تبديلا تاما." فمثلا لا نستطيع فصل عضو من الأعضاء دون أن يفقد هذا العضو وظيفته بل الوحدة ككل تتوقف وتتعطل والحجة الثانية هي تأثر الكائن الحي من انتقاله من الوسط الطبيعي إلى الوسط الاصطناعي ففي الحياة الطبيعية يتصرف بطريقة عادية أما عندما نضعه في الوسط الاصطناعي المتمثل في المخبر فإننا نخضعه لتغيرات كيميائية كالتخدير بالكلوروفورم مثلا أما الصعوبة الثالثة التي تعترض الظواهر الحية فهي صعوبة الملاحظة الداخلية لعمل الأجزاء الدقيقة كالخلايا والأنسجة التي تكون وحدة الكائن الحي ونحن نعرف أنه من غير الممكن قيام علم بدون ملاحظة ومتابعة للوظائف التي يقوم بها، وإن أردنا عزل عضو ما من أجل ملاحظته

فإنه يفقد وحدته وبالتالي يفقد طبيعته. ومن جهة أخرى واجه العلماء عوائقا أخرى في تصنيف الظواهر فرسم سلسلة الطبائع والصفات الخاصة بنوع حيواني ليس أمرا سهلا فمحاولة التصنيف المورفولوجي أو الفيزيولوجي محاولة تقضي على الفردية، ذلك لأن نمط العيش والتكيف من الناحية المورفولوجية يمكن أن يبعد كثيرا الحيوان عن أقاربه في النوع بالطفيليات فلكل كائن حي خصائصه. وأخيرا يستخدم أصحاب هذا الموقف حجة التنبؤ والتعميم فالتنبؤ مستحيل على مستوى الظواهر الحية، وذلك لأن الكائن الحي ليس ثابتا في الزمان، بل هو دائم التغير عكس الموجودات الجامدة، أما التعميم يطبق في الظواهر الفيزيائية والكيميائية الجامدة في شكل استقراء ناقص لأنه يخضع لمبدأ الحتمية فأمر صعب جدا إن لم نقل مستحيل، فعندما يستخدم العلماء الفئران أو الكلاب أو القردة لاختبار فعالية الأدوية المكتشفة، ثم يحاولون تعميم النتائج على بقية الكائنات الحية خاصة الإنسان يقعون في مخاطر لأن طبيعة الإنسان تختلف عن طبيعة الحيوانات الأخرى وبل إن الاختلاف يوجد على مستوى بني الإنسان فمثلا بعض الناس يؤثر فيهم بعض الأدوية تأثيرا سلبيا والبعض الآخر تأثيرا إيجابيا وكذلك نقل الدم من شخص إلى آخر.

المناقشة: غير أن هذه الاعتراضات غير كافية ومقنعة، لأنها تقف في وجه طموح العلماء وهي لا تني إجحافا في حق البيولوجيا فحسب بل في حق العلم كله الذي يسعى جاهدا لمعرفة حقيقة الكائن الحي معرفة موضوعية تخلصه من قيود الميتافيزيقا والآراء الدينية فقد نسي هؤلاء أنه كان هناك اعتقاد يقول باستحالة قيام علم الفيزياء ولكن بفضل تقدم وسائل البحث أصبحت الفيزياء علما قائما بذاته بل صارت من العلوم الدقيقة فليس من الغريب أن يكون هناك علم بيولوجي.

الموقف الثاني:

يرى "كلود برنار" أن إخضاع الظاهرة الحية للبحث التجريبي أمر ممكن فقد بدأ الأمل في قيام علم خاص بالظواهر الطبيعية مع نظرية التطور التي وضعها لامارك وداروين اللذان دعا إلى وجوب فهم الكائنات الحية عن طريق البيئة الخارجية والسلالات السابقة ثم أخذ علم الأحياء يتقدم أكثر بالتجارب التي قام بها الطبيب الفرنسي لويس باستور وأشهرها التجربة التي أقامها حول ظاهرة تعفن المادة الحية وبات من الأكيد أن البحث التجريبي يصلح في مثل هذه الظواهر، ويعزى تاريخيا إدخال التجريب على الظاهرة الحية إلى الطبيب الفرنسي كلود برنار الذي ظل يردد: " لا بد لعلم البيولوجيا أن يأخذ من العلوم الفيزيائية والكيميائية المنهج التجريبي ولكن مع الاحتفاظ بحوادثه وقوانينه الخاصة " وخاصة في ظل تطور التقنية وأدوات الملاحظة كالمجاهر الدقيقة فالكائن الحي

يحمل بين ثناياه نفس الخصائص الفيزيائية والكيميائية التي يتألف منها الكائن الجامد.
يقول كلود برنار: " إن المظاهر التي تتجلى لدى الأجسام الحية مثل المظاهر التي تتجلى لدى الأجسام الطبيعية فهي تخضع لحتمية ضرورية تربطها بشروط كيميائية وفيزيائية خاصة " ومادام الأمر كذلك فالتجريب ممكن والدليل على ذلك ما وصل إليه علم الطب وعلم الوراثة ويمكن أن نورد كحجة على ذلك التجربة المشهورة التي أجراها كلود برنار من أجل البرهنة على إمكانية تحقيق هذا الطموح العلمي، هذه التجربة التي أقامها حول بول الأرانب حيث وظف فيها الخطوات الآتية الملاحظة العلمية والفرضية والتجربة والقانون وقد وصل فيها إلى حقيقة جديدة تفيد أن الكائن الحي يتغذى من مدخراته في حالة الصوم أو الامتناع عن الطعام كما أكد فيها مبدأ التعميم بعد تكرار التجربة كما أن اكتشاف الوراثة المعاصرة لعنصر ADN وتطور زراعة الأعضاء وعلم الجينات وصناعة أجهزة المراقبة الدقيقة وإدخال الرياضيات واستخدامها في هذه الأبحاث بات واضحا أن تلك الصعوبات المذكورة لم تبق مطروحة وإن كانت النتائج لا ترقى إلى مستوى نتائج علوم الفيزياء.

المناقشة:

لا يمكن موافقة أصحاب هذه النظرية في أن الظواهر البيولوجية مماثلة للظواهر الفيزيائية والكيميائية في الطبيعة وإنما الواقع والأبحاث العلمية تؤكد الاختلاف الموجود بينهما فالمادة الحية تتميز بما يلي:

أولا: التعقيد والتشابك.

ثانيا: عدم قابلية الملاحظة وإقامة التجربة.

ثالثا: أنها فريدة من نوعها تقوم بالوظائف الحيوية من تغذية وإطراح وتكاثر... الخ.

رابعا: عدم قابليتها للتعميم . فهذه الخصائص ترتبت عنها صعوبة تطبيق المنهج التجريبي عليها بنفس الكيفية التي تم تطبيقه فيها على الظاهرة الجامدة.

النتيجة: نستنتج مما سبق بأن تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الحية لا يماثل تطبيقه على الظاهرة الجامدة لأن كل نوع يتميز بخصوصية معينة. فالعلم لا يعرف حدودا وطموح العلماء هو العامل الحاسم دائما في تطوره وتقدمه لكن مهما كان هذا الطموح فإنه لا يصل إلى الحقائق المطلقة الكاملة.

▪ المشكلة الجزئية الرابعة: في فلسفة العلوم الإنسانية والعلوم المعيارية

تمهيد

إن العلم هو المعرفة بحقيقة الأشياء أو هو مجموعة من القواعد والنظريات أو القوانين التي تضبط علاقة ظاهرة بأخرى يشمل الفيزياء والكيمياء والفلك والبيولوجيا والاجتماع والاقتصاد... فالمستقرئ لتاريخه يجد أنه قد تطور في جميع هياكله ومحتوياته حيث ابتدأ بسيطا وأصبح معقدا ودقيقا، فالدراسات التجريبية حققت على مر الأزمنة والعصور تقدما وتطورا كبيرا، حيث أحرزت علوم المادة الجامدة نجاحا، جعل منها نموذجا لكل معرفة تسعى لتحقيق الدقة والموضوعية خاصة بعد إقحام المنهج التجريبي في ميدان الدراسة البيولوجية وقد طرح إمكانية تطبيقه على ميدان آخر هو دراسة الظواهر الإنسانية فهل هذا أمر ممكن وقبل هذا وجب ضبط المفاهيم والمصطلحات والتمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم المعيارية فهل يا ترى بينهما اختلاف وتشابه وتداخل وما هي طبيعة العلاقة الموجودة بينهما؟

فما المقصود أولا بهذين العلمين؟

مفهوم العلوم الإنسانية:

هي مجموع الاختصاصات التي تدرس الإنسان من حيث هو فرد يتوفر على جملة من الميول والأهواء. ومن حيث هو عضو في جماعة لا يؤثر فيها ويتأثر بها، كما تبحث في ماضي الإنسان باعتبار أن هذا الأخير كائن محمل بالتاريخ. فهي تهتم بدراسة مواقف الإنسان وأنماط سلوكه وتنشغل بواقعه لتتعرف على ما هو ثابت فيه، بعد تحليله والكشف عن نمطه وقوانينه. فالعلوم الإنسانية تدرس الظاهرة الإنسانية بمختلف أبعادها ومظاهرها النفسية والاجتماعية والتاريخية فهي تشمل علم النفس والتاريخ وعلم الاجتماع.

مفهوم العلوم المعيارية:

هي التي تهتم بوضع المعايير والمقاييس التي تحدد ما يجب أن يكون عليه الشيء أو السلوك أو التفكير، فهي لا ترضى بما هو كائن بل تطلب ما يجب أن يكون أو ما ينبغي أن يكون لهذا يعرفها أحد المفكرين حيث قال: " العلوم المعيارية هي التي تهدف إلى صياغة القواعد والنماذج الضرورية لتحديد القيم تشمل علم الجمال والأخلاق والمنطق..." ويمكن تسمية العلوم المعيارية بعلوم القيم فهي تدرس القيم وتضع المقاييس والقواعد التي تفهم على ضوئها فالمنطق يبحث في القواعد التي ينبغي أن يكون عليها التفكير السليم أو الصحيح ومعياره الحق وفي علم الأخلاق ومعياره الخير وهو يبحث في النموذج المثالي الذي يجب عليه السلوك الإنساني، وعلم الجمال ومعياره الحسن والقبح ويبحث في وضع الأسس والمقاييس التي يمكن التمييز والحكم بها على الجميل من الصور أو الأشياء والقبيح منها.

- العلاقة بين العلوم الإنسانية والمعيارية:

فهناك تأثير متبادل بين العلوم الإنسانية والمعيارية يجسد العلاقة الوطيدة بينهما رغم أن الأولى تبحث فيما هو كائن والثانية تبحث فيما ينبغي أن يكون عليه الشيء.

أقسام العلوم الإنسانية:

تشمل العلوم الإنسانية العديد من التخصصات تتجلى فيما يلي:

أولا: علم النفس أو السيكولوجيا ويدرس سلوك الإنسان كفرد له انفعالاته ودوافعه وعواطفه وتخيلاته وأفكاره.

ثانيا: التاريخ وهو يدرس ماضي الإنسان كجملة حوادث تتعاقب في الزمان ملتمسا أحيانا الكشف عن منطق هذا التعاقب ومعرفة صيرورته.

ثالثا: علم الاجتماع أو السوسيولوجيا فيدرس الإنسان ككائن اجتماعي، ويبحث فعاليته من حيث أنها تحمل طابعا غير فردي.

الذاتية والموضوعية في العلوم الإنسانية:

تشمل العلوم الإنسانية أقساما عيديدة منها: علم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ، فمن جهة دراستها دراسة علمية تجريبية تفرق شمل العلماء إلى فريقين أحدهما يؤكد أن هناك إمكانية لدارسة الظاهرة الإنسانية دراسة موضوعية علمية.

ضبط الإشكالية: ياترى هل التخلص من الذاتية في العلوم الإنسانية أمر ممكن؟

أ - موقف الرافضين لعلمية العلوم الإنسانية:

يرى كثير من العلماء أنه لا يمكن تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الإنسانية سواء

كانت نفسية أو اجتماعية أو تاريخية أي أن الباحث في دراسته هذه لا يستطيع التخلص من الذاتية وقد أكد المشككون في قيام علوم إنسانية هذا الموقف بالاعتماد على الأدلة الآتية:

أولا: الموضوعية: يقولون أن الطريقة العلمية لا يمكن أن تطبق إلا على الأشياء، أما الحوادث الإنسانية فهي ليست بأشياء وكلمة شيء تعني: "كل ما يجري بدون إرادتنا أو تدخلنا" إذ من السهل على العالم أن يدرس الحديد والشجر والحيوان لأن هذه الحوادث خارجة عنا، مستقلة عن ميولنا وإرادتنا، فهي بالتالي لكي تكون موضوع تأمل نزيه وحيادي، والحياد هو أحد الشروط الضرورية لقيام معرفة علمية أما الحوادث الإنسانية فهي من الإنسان وإليه، بل هي منه أكثر مما هي له، وكل حكم نصدره حولها يحمل اعتبارات ذاتية. لذلك يتعذر على الباحث في هذا النوع من الظواهر أن يكون موضوعيا أي أن يقصي كل خبرته الشخصية.

ثانيا: الملاحظة: تعد الملاحظة ركنا هاما من المنهج التجريبي، ويذهب المشككون في قيام علوم إنسانية إلى أنها غير متيسرة في هذا الميدان: فالحوادث الإنسانية لا تشغل حيزا معينا يمكن أن نراقبها فيه، إنها حوادث زمانية لا مكانية، حوادث شعورية لا تتمكن من ملاحظتها.... وعدم قابلية الظاهرة الإنسانية للملاحظة يخلع عليها الصبغة العلمية.

ثالثا: التجريب: وإذا كانت الملاحظة غير ممكنة فالتجريب هو أيضا غير ممكن، لأنه ليس سوى ملاحظة مصطنعة. فليس في وسعي أن أكرر ظواهر إنسانية في نفس ظروفها وملابساتها، وهذا ما يجعل الفرضيات التي نفترضها في مجالات إنسانية عرضة للشك والطعن، إذ ما من سبيل للتأكد من صحة الفرضية سوى عرضها على التجريب، لكن هل بإمكاني أن أجرب على الإنسان أو على المجتمع أو على التاريخ؟ إن كرامة الإنسان لا تسمح لي أن أعرض حياته للحظر كأن أحتجز حريته...

رابعا: السببية والحتمية: وتصل قيمة التشكك إلى أعلاها عندما يطرحون قضية السببية والحتمية في العلوم الإنسانية . هناك صعوبة في إخضاع الحوادث الإنسانية لمبدأ النسبية والحتمية لأنها مختلفة عن الحوادث الطبيعية وهذه الصعوبة هي إقرار في الوقت ذاته ببطلان علمية الحوادث الإنسانية سواء كانت تاريخية أو اجتماعية أو نفسية، فالإنسان يتميز بالحرية وهذه الأخيرة خصم عنيد لمبدأ الحتمية . فصعوبة إخضاعها لهذين المبدأين وعدم قابليتها للملاحظة والتجربة يرجع إلى تغيرها عبر الزمن وهذا بالضرورة يؤدي إلى تغير النتائج.

المناقشة: يسهل علينا أن نرد على هذه الاعتراضات فيما لو تحررنا من المفهوم الكلاسيكي للمنهاج التجريبي. لقد صيغت للملاحظة والتجربة والحتمية قوالب متصلبة منذ القرن

السابع عشر (17 م) حتى أواخر القرن التاسع عشر (19م) وكان كل خروج عن هذه القوالب يعد جنوحا ومجانبة لروح العلم لذلك فإن الاعتراضات التي أبداها المشككون في قيام علوم إنسانية تتأثر إلى حد بعيد بهذه القوالب الضيقة وقد تبين في بحث العلوم التجريبية أن تطور العلم الحديث أكسب خطوات المنهاج التجريبي مرونة تتفق مع جملة الحقائق التي تطالعنا سواء في ميدان المادة الجامدة أو الحية.

2- موقف المؤيدين لعلمية العلوم الإنسانية:

يرى كل من "إميل دوركايم وفونت وأوغست كونت" أنه يمكن تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الإنسانية، ويمكن التخلص من الذاتية في الدراسات الاجتماعية والنفسية والتاريخية وهناك إمكانية لقيام علوم إنسانية وقد تمت البرهنة على هذا الموقف من خلال الأدلة الآتية:

أولا: الموضوعية: لا شك أن الإنسان لا يستطيع أن يقف حيال الظواهر الإنسانية موقف عدم الاكتراث واللامبالاة فالظاهرة الإنسانية ليست شيئا كالأشياء المادية الخارجية، إنها ظاهرة تهم الإنسان وتتصل بصميم كيانه، لذلك فهو مدفوع إلى التجرد بقدر الإمكان من هواه والتحرر من أحكامه الذاتية لكي يحقق رؤية واضحة لهذه الطبيعة. والواقع أن الإنسان استطاع أن يحقق تقدما ملحوظا في هذا الميدان، فعلم النفس قطع أشواطا بعيدة لا شك أن معرفتنا اليوم بنفسية الطفل وأحوال المجانين وشروط التعلم والذاكرة والإدراك تعتبر معرفة متقدمة جدا، بالقياس إلى معارف من سبقونا في هذا المضمار، وذلك راجع لأن هذه الحوادث قابلة للدراسة الموضوعية. وعلم الاجتماع أيضا يستطيع اليوم أن يدلنا على المجتمع المتوازن وغير المتوازن والصيغ الاجتماعية التي تعمل على نمو الشخصية أو تعوق نموها، وهذا راجع إلى أن الظواهر الاجتماعية تقبل الدراسة الموضوعية. وإذا كانت بعض الظواهر ما تزال غامضة فذلك راجع لأن العلوم الإنسانية ما زال في بداية طريقها فالزعم بأن ظواهرها لا تتمتع بأي نصيب من الموضوعية ينطوي على كثير من الشطط.

ثانيا: الملاحظة: ليس من الضروري أن يتوقف العلم إذا لم نتمكن من ملاحظة الظواهر أو الحوادث فيه ملاحظة مباشرة فالفيزياء والكيمياء رغم تطورهما ما يزالا يلجأن إلى اللاحظة الغير المباشرة فنحن لم نرى الإلكترونات وإنما نعرف هذه الأمور بتلمس آثارها ومخلفاتها. وفي ميدان الحوادث الإنسانية يتحايل الفكر أيضا على مراقبة الظواهر ويتوسل إلى ذلك بوسائل مختلفة يمكن أن نكتشف ظاهرة الخوف كظاهرة نفسية من خلال آثارها الفيزيولوجية كاصفرار الوجه و تصبب العرق وخفقان القلب ويمكن أن نتعرف على الحضارة الرومانية أو اليونانية أو الفارسية من خلال آثارها المختلفة من كتب وأبنية وتماثيل... الخ.

ثالثا: التجريب: إن العلوم الإنسانية تعتمد على مناهج لا تختلف من حيث قيمتها عن التجريب في علوم المادة الحية أو الجامدة فالمقارنة في التاريخ وفي الأبحاث الاجتماعية والنفسية.

المناقشة: مهما حاولت العلوم الإنسانية تحقيق نتائج علمية إلا أنها تبقى تفتقر إلى اليقين لأن القياس أمر صعب التحقيق فيها بالإضافة إلى تدخل ذاتية البحث في التفسير، فالتخلص من الذاتية أمر نسبي لأن الظاهرة من جنس الباحث، فالباحث هو المبحوث واحد.

النتيجة:

وختاما نستنتج مما سبق ذكره أن القياس والتجريب أمر ممكن في العلوم الإنسانية، لكن بمفهوم ينسجم وطبيعة الظاهرة الإنسانية سواء كانت تاريخية أو نفسية أو اجتماعية. كما يمكن التأكيد على أن محاولات الباحثين في هذه الظواهر مستمرة في تجاوز كل العقبات التي حدت من إخضاعها للقياس والتجريب.

مناهج البحث في علم التاريخ:

لا تختلف العلوم الإنسانية في هدفها عن بقية العلوم، فهي تدرس واقعا معينا - الواقع الإنساني - لتعرف ما هو ثابت فيه وكلي، أي لتشرحه إذ تكشف عن نظمه وقوانينه. ولكنها تختلف من حيث موضوعها: فالعواطف والأفكار، والأسرة والدولة، الحروب والثورات وهي موضوع البحث في علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ فهذا الأخير يبحث في الحوادث الماضية المقترنة بفكرتي الزمان والمكان فهو يبحث في الإنسان باعتبار أنه محمل بالماضي وإذا كانت الحادثة التاريخية إنسانية وقعت في الماضي فهل يمكن دراستها علميا؟.

ضبط الإشكالية: يا ترى هل التاريخ علم؟ وما هي الأسباب التي تؤدي إلى اختفاء الحقيقة التاريخية؟

وبعبارة أخرى هل يمكن دراسة الحادثة التاريخية دراسة علمية ؟

1 - موقف المعارضين:

يرى المعارضون لعلمية التاريخ أن التاريخ ليس علما ولا يمكن دراسة الحادثة التاريخية دراسة علمية موضوعية أي لا يمكن تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر التاريخية وبرهنتهم تمثلت فيما يلي:

أولا: لأن الدراسة العلمية تقوم على الموضوعية في حين أن الحوادث التاريخية ذاتية فالمؤرخ يعيش التاريخ ولا يمكن أن يقف موقف الحياد من حوادث تعتبر جزءا منه.

ثانيا: لأن الدراسة العلمية تقوم على مبدأ الحتمية التي تعني ثبات الشروط والأسباب: في

حين أن الشروط والأسباب عند الإنسان ليست ثابتة، فما كان بالأمس سببا لم يعد اليوم كذلك.

ثالثا: مشكلة الملاحظة والتجربة: إن الظواهر التاريخية ظواهر ماضية مقترنة بفكرتي الزمان والمكان، لا يمكن إعادتها أو عزلها وبالتالي يستحيل ملاحظتها والتجريب عليها وباستحالة الملاحظة والتجريب تنعدم القوانين وينعدم التنبؤ الذي يبقى السمة أو الخاصية الجوهرية للأبحاث العلمية.

المناقشة: إن هذا الفريق المعارض لعلمية الأبحاث التاريخية يبالغ كثرا في تصور الفرق بين التاريخ والعلوم الطبيعية والواقع أن هناك فرقا يعود في الأساس إلى طبيعة الظاهرة والاختلاف في طبيعة الموضوع يستلزم الاختلاف في طبيعة المنهج، ومنه فالتاريخ علم له منهجه الخاص الذي ينسجم وخصوصية الحادثة التاريخية.

٢ - موقف المؤيدين:

وعليه يؤكد المؤيدون لعلمية التاريخ أن دراسة الحادثة التاريخية دراسة علمية موضوعية أمرا ممكن وتفسيرها تفسيرا علميا في ظل تطور الأبحاث العلمية، وتعدد المناهج، وحجتهم تمثلت فيما يلي:

- لأن المؤرخ باحث قبل كل شيء وصفة الباحث تجعله يتسلح بالحذر والحيطة والوعي ويتحقق من كل شيء واقفا منه موقف الحياد والوعي والحيطة أي أنه بإمكانه أن يستبعد ذاته ويكون موضوعيا في أبحاثه.

- تكييف المنهج التجريبي مع طبيعة الظاهرة التاريخية حيث يكون تطبيقه وفقا للخطوات الآتية:

أولا: الملاحظة غير المباشرة ويتم فيها جمع المصادر أو الوثائق التاريخية باعتبارها آثارا شاهدة على الظاهرة التاريخية وهي تشمل نوعين من المصادر:

أ- المصادر الإرادية وهي التي تركها الإنسان كي تكون شاهدا على ماضيه مثل المتاحف ومقابر الشهداء ومذكرات القادة...الخ.

ب- المصادر اللاإرادية وهي التي لم يتركها الإنسان كدليل على ما أنجزه وإنما وظفها في تحقيق أغراض حياتية مثل القصور والمساجد... الخ.

ففي هذه المرحلة يكتفي الباحث بعملية جمع المصادر التاريخية فقط.

ثانيا: مرحلة التحليل التاريخي وهي تشمل نوعان: التحليل أو النقد الخارجي للوثائق أو المصادر التاريخية والتحليل أو النقد الداخلي أو الباطني لمحتوى هذه المصادر ويمكن أن

يعتمد في هذه المرحلة على إجراء المقارنات مستعينا في ذلك بعلوم متعددة كعلم الكيمياء واللغات القديمة وعلم الآثار وعلم الإجتماع...الخ، وتعد المقارنة بديلا للتجربة العلمية.

ثالثا: مرحلة التركب أو التأليف التاريخي وفيها يتم ترتيب الحوادث التاريخية حسب زمن الوقوع وتبويبها ويحتاج المؤرخ في هذه المرحلة إلى جملة من الشروط حتى يتمكن القيام بهذه العملية منها الثقافة الواسعة والفضول العلمي والتفاني في البحث والشجاعة والصبر والأمانة العلمية والحماسة والقدرات العقلية الفائقة فلابد له أن يعيش الحدث التاريخي كما حدث وفي حالة اصطدامه بفجوات وثغرات تاريخية عليه أن يقوم بملئها بما هو ملائم لسير الأحداث التاريخية فالمؤرخ العظيم هو الذي يؤرخ ويؤرخ في نفس الوقت.

رابعا: الاستنتاج.

المناقشة: لكن مطالبة المؤرخ بالتزام الحياد كمن يطالبه بالتخلي عن جزء منه وهذا أمر مستحيل، فكيف نطالبه بالتنكر لدينه أو وطنه أو ثقافته؟ وهذا ما جعل الدراسات والأبحاث التاريخية والإنسانية عامة تسيطر عليها الذاتية ومنه لا يمكن دراسة الظاهرة التاريخية بنفس الكيفية التي تدرس بها الظاهرة الفيزيائية والكيميائية لأن الاختلاف واضح في الطبيعة.

النتيجة:

نستنتج مما سبق أن الموضوعية في التاريخ يمكن تحقيقها، لكنها تبقى موضوعية نسبية لا ترقى إلى درجة اليقين كما هو الأمر في علوم الطبيعة، كما أن تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة التاريخية ليس مماثلا لتطبيقه على الظاهرة الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية لأن لكل ظاهرة خصوصية تجعلها تختلف عن الأخرى والمحاولات جارية من قبل المؤرخين لتجاوز كل العقبات التي تحد من بلوغ العلمية في النتائج.

مناهج البحث في الظاهرة النفسية:

تدرس العلوم الإنسانية الإنسان من حيث هو فرد يتوفر على مجموعة من الميول والأهواء... ومن حيث هو عضو في جماعة يؤثر فيها وتؤثر فيه كما تبحث في ماضي الإنسان. فالعلوم هي مجموع الاختصاصات التي تهتم بدراسة مواقف الإنسان وأنماط سلوكه أي تدرس الواقع الإنساني لتتعرف على ما هو ثابت فيه بعد تحليله والكشف عن نظمه وقوانينه. وهي تشمل أقساما عديدة منها: علم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس فإذا انصبت الدراسة على الظواهر والعلاقات الاجتماعية باعتبار أن الإنسان كفرد يعيش في وسط اجتماعي وثقافي

وحضاري فهذا هو موضوع علم الاجتماع، أما إذا كانت الدراسة تتناول الأحداث البشرية في التطور الزمني والقوانين التي تتحكم في سيرها، وتدرس الماضي الإنساني للتعرف عليه باعتباره كائنا محملا بالتاريخ فهذا هو موضوع علم التاريخ. أما إذا كان موضوع الدراسة هو الحياة النفسية المرتبطة بالشعور واللاشعور والسلوك فهذا موضوع علم النفس، فقد نشأت الدراسة النفسية في أحضان الدراسات الفلسفية، لكن التطور العلمي في العصر الحديث أغرى المهتمين بالبحث في الظواهر النفسية باتخاذ طرق ومناهج تقربهم من العلماء بقدر ما تبعدهم عن دائرة الفلاسفة. أي أنهم أرادوا أن يضفوا الطابع العلمي على الدراسات النفسية، رغم الاختلاف البين بين طبيعة الظواهر في الميدانين النفسي والطبيعي، فإلى أي حد وُفِّقُوا في مسعاهم؟

ضبط الإشكالية: هل يمكن دراسة الظاهرة النفسية بواسطة المنهج الموضوعي؟ وهل الدراسة العلمية للظواهر النفسية تستبعد الشعور؟

النزعة الشعورية:

يؤكد أصحاب النزعة الشعورية أن الدراسة العلمية للظواهر النفسية لا تستبعد الشعور بملاحظة الظواهر النفسية من وجوهها الخارجية وفي تجلياتها المادية والنكوص عن تتبعها في بطانتها الوجدانية عمل لا يجتني منه العلم أي معرفة لحقيقية الظواهر فعندما نحذف الشعور من الظواهر النفسية نعريها من معانيها وغاياتها التي تتضمن تماسكها ووحدتها لتبقى بعد ذلك هياكل هامدة لا تفصح عن أي شيء. فيتم فهم الحياة النفسية بواسـ طريقة التأمل الباطني أو الاستبطان التي تقوم على أن نطب إلى الشخص أن يصف ما يجري في نفسه من حالات بخصوص أي حادثة من الحوادث سواء كان منبعها داخليا أو خارجيا.

فإذا كانت الحادثة صوت طائرة تحلق في السماء أو انبثاق ذكرى في أعماقه فإننا نطلب إليه صوت الطائرة وعن الكيفية أو المناسبة التي جعلت الذكرى تخطر على باله. فمن الآليات التي تعتمد في فهم الحياة النفسية ما يلي:

أولا: اللغة وهي الأداة التي يتم بها تواصل الإنسان والحيوان مع الآخرين وبها ينقل أغراضه المتعددة للغير كما أنها آلية تستخدم في طريقة الاستبطان لمعرفة ما يجري في الذات ونقله إلى الآخرين.

ثانيا: الذاكرة هي كذلك آلية من الآليات التي يستخدمها الأطباء الموظفين للاستبطان لمعرفة ما حصل في الماضي للإنسان.

المناقشة: إن طريقة التأمل الباطني أو الاستبطان ظلت سائدة في علم النفس أمدا طويلا بيد أن تقدم الدراسات العلمية وغنى المعلومات التي توصل إليها الإنسان عن طريق التجريب حمل عددا من العلماء على استبعاد هذا المنهاج باعتباره ذاتيا لا يتسم بالموضوعية وكان في طليعة الذين شنوا عليه حملة واسعة أوغست كونت ومدرسة التحليل النفسي والسلوكيون وغيرهم حيث اعتبروا أن الدراسة العلمية تستبعد تماما الشعور ومنهج التأمل الذاتي. ويمكن أن نوجز جملة الاعتراضات فيما يلي:

1/ التأمل الذاتي غير ممكن لاسيما في الأحوال التي نشعر فيها بتوتر شديد.

2/ يقول أصحاب هذا المنهج أن الإنسان يمكن أن يستعيد حالاته الشعورية السابقة ثم يصفها ولكن أصحاب النزعة التجريبية يرفضون الاستعادة لأن الشعور في تغير مستمر والبحث التجريبي يثبت أن الإنسان عندما يلجأ إلى ذاكرته يشوه كثيرا من الحقائق.

3/ إن التأمل الذاتي منهج لا يصف الحياة النفسية بكاملها وإنما يقتصر على فهم الشعور فقط وواقعنا النفسي أكثر من ذلك. كما أن التأمل الذاتي أو الباطني لا يمكن تطبيقه إلا على الشخص الراشد الذي يحسن إلى حد ما الإفصاح عن نفسه.

4/ يتطلب التأمل الذاتي الصراحة في التعبير والأمانة في الوصف ولكن هب أننا سألنا عانسا عن أحاسيسها إزاء الزواج هل نثق بأجوبتها؟ إلا تحاول أن تعطي مشاعرها بكبرياء وبأقوال قد لا تمت إلى الحقيقة بصلة؟ كما أن اللغة أحيانا تعجز عن التعبير عن كامل مشاعرنا فهي تخدعنا وتخوننا وتساهم كثيرا في تزييف الحقائق.

5/ نتائج التأمل الباطني الذاتي نتائج شخصية.

ويمكن التأكيد أن هذه الاعتراضات التي وجهت لأصحاب النزعة الشعورية ولهذا المنهج لا تحطمه ولا تسقط قيمته من الاعتبار بقدر ما تعني مجال استعماله وحدود تطبيقاته كما يقول "أندريه لالاند".

- النزعة السلوكية:

أما أصحاب النزعة السلوكية فيرون أن الدراسة العلمية للظواهر النفسية تستبعد الشعور باعتبار أن الحياة النفسية القائمة على السلوك وإن علم النفس يكمن في دراسة السلوك الإنساني دراسة موضوعية خارجية تتحاشى كل ما يمت بصلة إلى الشعور أو التجربة الشعورية فالشعور في نظر واطسن - ولد في 1878 وتوفي في 1958 - كلمة غامضة ومن يقول بها كمن يقول بالروح قد يؤدي البحث في دلالتها إلى الوقوع في ضلالات ميتافيزيقية فنحن لا نرى شيئا اسمه الشعور، ولما كان العلم لا يدرس إلا الظواهر المشخصة التي لا

يمكن ملاحظتها ومراقبتها، فإن كل دراسة علمية للسلوك الإنساني ينبغي أن تلاحقه في مظاهره الخارجية التي تبدو لنا في صور مؤثر واستجابة وهذا ما تؤكده النظرية الترابطية بزعامة إيفان بافلوف وثورندايك... والمنهج التجريبي أو الموضوعي يقوم على دراسة الحادثة في وجهها الخارجي بقطع النظر عن بطانتها الوجدانية الشعورية، ولا يعنيه ما يجول في النفس من هواجس وأفكار وصور، بل يتناول الظاهرة في تجلياتها الخارجية، فإذا أراد باحث دراسة الخوف مثلا فلن يغوص في نفسية الخائف بل يلاحظ آثار الخوف البادية على الشخص من عرق واصفرار للوجه وارتعاش وخفقان للقلب وإفرازات بعض الغدد وجملة من الحركات التي يقوم بها....

ولا يقتصر المنهاج الموضوعي على الملاحظة وحدها بل يعتمد على الفرضية وعلى التجريب فبإمكان العالم لأن يصطنع آلات مختلفة وأن يهيئ ظروفا متنوعة بشروط خاصة ليغني معلوماته ويصحح بعض فروضه، يمكن للعالم مثلا أن يسجل تنفس الشخص بواسطة آلات خاصة ليعرف نسبة الشهيق إلى الزفير في انفعال الخوف والغضب.... ومنه يمكن الوصول إلى إيجاد تفسير لها. فالمنهج الموضوعي يتألف من الخطوات الآتية:

1- الملاحظة العلمية 2 - الفرضية 3 - التجربة: التي تشمل ما يلي:

أ - الدراسة التكوينية ب - الدراسة المجربة

فالأولى يتم فيها دراسة سلوك الحيوان ومقارنته بسلوك الإنسان ودراسة سلوك الطفل ومقارنته بسلوك الراشد ودراسة سلوك البدائي ومقارنته بالمتحضر، أما الثانية فتشمل التجريب الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي.

1- القانون العلمي وهو المرحلة التي يتم فيها استخلاص النتائج المحصل عليها.

المناقشة: أفاد المنهج الموضوعي فائدة جلية فيما يخص معرفة الوجه الخارجي للظاهرة السيكولوجية، فالقياس والاختبار والمقارنة والإحصاء لعبت كلها دورا في إعطاء الظواهر صيغة كمية وأفادت كثيرا في التوجيه التربوي والمهني وجعلتنا نقف على عناصر ثابتة في السلوك الإنساني، ومع ذلك فلا غنى للباحث الموضوعي من التعرف على الوجه الباطني للحادثة السيكولوجية إذا أراد إكمال معرفته، لأن الحادثة الإنسانية كما أسلفنا حادثة ذات معنى لا يمكن تجريدها منه لذلك فإن الدراسة العلمية للظواهر النفسية لا تستبعد الشعور.

- النزعة التوفيقية:

أما المنهاج التمثيلي فيعد تركيبا للمنهاجين السابقين، فهو يقوم على الملاحظة الباطنية

والملاحظة الخارجية من أجل استقصاء شروط الظاهرة الواحدة والإحاطة بكل جوانبها. يجري استخدام هذا المنهج بأن نراقب السلوك الظاهر للآخرين ونستشف منه الحالات الشعورية الكامنة وراءه وذلك بالقياس إلى الحالات الشعورية التي عايناها نحن، فكأننا إذا نسقط حالاتنا الشعورية على الآخرين عندما نلاحظهم وينطلق المنهاج من مسلمة تقوم على أن الناس يتمتعون ببنيان نفسي واحد، ولذلك لا بد أن تكون تصرفاتهم ومشاعرهم واحدة فإذا لاحظت شخصا مصفر الوجه يرتعش ويتصبب منه العرق أعرف بأنه يعاني حالة الخوف لأنني سبق أن عشت هذه الحالة وبدر مني ذات السلوك.

المناقشـــة: تصبح هذه الطريقة ناجعة عندما يجري تطبيقها في وسط نكون متأكدين بأن أفراده قد خضعوا للتربية إجتماعية واحدة وثقافة واحدة أي بين أفراده تشتد أوجه التشابه أما إذا لم نراعي هذه النواحي فإن الطريقة تفقد قيمتها العلمية.

- مدرسة التحليل النفسي:

يرى فرويد أن الشعور لا يشكل مجمل الحياة النفسية عند الإنسان حيث توجد حياة نفسية خارجه وتسمى اللاشعور وهو منطقة في النفس الإنسانية سحيقة وعميقة ومظلمة تشمل الرغبات والميول المكبوتة التي لم يستطع الإنسان تحقيقها في الواقع لأنها منافية لقيمه تتجلى حسب فرويد في الليبيدو أو الغريزة الجنسية والدوافع العدوانية تختفي في هذه المنطقة نتيجة الكبت منذ الطفولة المبكرة ويعتبر هذا العالم (فرويد) مكتشف اللاشعور ولو أن بوادر هذا الاكتشاف كانت موجودة قبله مع لايبنتز الذي حاول إثبات فكرة اللاشعور أو اللاوعي بالأدلة العقلية حيث قال: لدينا في كل لحظة عدد لا نهاية له من الإدراكات التي لا تأمل فيها ولا نظر ثم جاء دور الأطباء ومنهم برنهايم وشاركو من خلال معالجة مرض الهستيريا الذي من أعراضه اضطرابات عقلية ونفسية دون وجود خلل عضوي كما أن فكرة التنويم المغناطيسي الأمر الذي هدى فرويد بعد وقوفه على تجارب جوزيف بروير إلى اكتشاف اللاشعور وهذا يعني أن هناك جانبا في حياتنا توجد فيه أسرار وعقد لا يسمح لها بالخروج في حالة شعور. ومن الدلائل المؤكدة على وجود اللاشعور ما يلي: وجود الأعراض العصبية، والأحلام، وظاهرة النسيان، والأغلاط اللاشعورية (فلتات اللسان وزلات القلم)،... الخ. فالمنهج المناسب لفهم هذا النوع من الحياة النفسية وتأثيراته على السلوك هو منهج التحليل النفسي الذي يعتبر عند سيغموند فرويد طريقة لتفسير الأمراض النفسية وعلاجها وهو يتكون من الخطوات الآتية:

أولا: التداعي الحر: يطلب فرويد من الشخص الذي يشكو من إضطرابات في سلوكه

أن يتمتع في حديثه بكامل الحرية ولا يخضع أفكاره وكلماته لأي نظام أو تماسك منطقي، لينطلق بكل ما يخطر له في عفوية متناهية فكأنه بذلك يطلب إليه أن ينهي عمل الرقابة الاجتماعية والعقلية، ومتى نجح في ذلك فإن محتويات اللاشعور ستطفو على ساحة الشعور، وبذلك يمكن أن يتعرف المحلل على الرغبة المكبوتة وأن يبرزها لمريضه فتنحل عقدتها ويعود إليه توازنه النفسي. وقد يصعب على المرء أحيانا أن يسلم نفسه لتداعيات حرة وهنا يلجأ فرويد إلى استطلاع جديد فيراقب الحالات التالية:

أ- النسيان: فهو طريقة لاشعورية نعبر بها عن عدم إهتمامنا لبعض الأمور، فحين ننسى بعض الأسماء فهذا دليل على أننا لا نرغب في التعرف على أصحابها ولا يهمنا أمرهم.

ب - فلتات اللسان: ومن الأمثلة التي يوردها فرويد عبارة رئيس المحكمة النمساوي الذي يفتتح بها الجلسات فبدلا من أن يقول ذات مرة افتتحت الجلسة قال: "رفعت الجلسة" ففضح بذلك عدم إهتمامه بتلك الجلسة التي تم عقدها والتي كان يعتقد أن لا فائدة من ورائها

ج - النكتة: وهي مجال خصب لإصطياد محتويات اللاشعور فعن طريقها تجد الرغبات المكبوتة متنفسها المشروع، الهدف القريب للنكتة هو التسلية والناس لا يمانعون في ذلك والهدف البعيد لها هو المقصود أي التعبير عن الرغبة المكبوتة عدوانية أو جنسية

د- الأحلام: الحلم عند فرويد هو تحقيق لرغبة مكبوتة وهو أيضا مجال خصب لإكتشاف محتويات اللاشعور.

إضافة إلى ذلك هناك: الفن، وأخطاء الإدراك، ...الخ.

المناقشة: لقد وجهت جملة من الانتقادات لصاحب هذه النظرية تمثلت فيما يلي: ما من أحد اليوم يجادل في أن التحليل النفسي أبان عن فعاليته وجدواه في علاج بعض الاضطرابات والأمراض العصبية وكشف عن تأثير تجارب الطفولة في سلوك الراشدين كما أن العناية التي أولاها التحليل النفسي لقضايا اللاشعور أصبحت تثير كثيرا من الجوانب في سلوك المجرمين والمنحرفين والفاشلين، وقد عززت هذه الدراسة الجانب الإنساني فأصبح عدد من المنحرفين يدخلون المستشفيات، والإصلاحيات بعد أن كان يلقى بهم في غياهب السجون أو يظلون عرضة للسخرية والاحتقار من قبل الناس بيد أن أفكار فرويد لا تخلو من الشطط عندما حاول أن يجعل من اللاشعور وخباياه عصا سحرية تحل كل لغز وتوضح كل ما كان غامضا في السلوك المرضي وغيره، فقد جعل الغريزة الجنسية هي القوة أو الوحش الذي يسكن تلك المنطقة العميقة من النفس الإنسانية وما الميول والرغبات

ومختلف السلوكات المتنوعة إلا أنفاس هذا الوحش وزفراته، وقد جعل فرويد الإنسان مسيطر عليه من قبل حتمية نفسية لاشعورية تجعله مسلوب الإرادة والحرية فأية قيمة تبقى للإنسان إذا صنف بجوار بقية الكائنات الحية التي تعيش فقط بدافع الحياة وسلوكاتها تعبير عن الغريزة فقط. ومع هذا كله فإن التحليل النفسي لا يفقد قيمته ما دام يطبق في الحدود التي أبان فيها عن فاعليته وجدواه.

الخلاصة:

نستنتج مما سبق أن الظاهرة النفسية لها جانب داخلي يشمل الحياة الشعورية واللاشعورية وجانب خارجي يشمل السلوك لذلك فإن الفهم الكامل والتام لها يجب أن لا يستبعد الدراسة العلمية لهاذين الجانبين الداخلي والخارجي، لأنهما كل متكامل وإلا كان الفهم قاصرا لها.

مناهج البحث في علم الإجتماع:

إن العلوم الإنسانية تدرس الواقع الإنساني بحوادثه المختلفة لتجلو ثوابته و تتفهم اتجاهاته وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع، فمن جهة تحديد حقيقة الدراسة الاجتماعية بواسطة تطبيق المنهج العلمي اختلف الباحثون في ذلك فهناك من رأى استحالة تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الاجتماعية وهناك من أكد إمكانية ذلك.

ضبط الإشكالية: هل يمكن دراسة الظاهرة الإجتماعية دراسة علمية؟ يا ترى هل يكفي اعتبار الظاهرة الاجتماعية شيئا حتى نوفيها حقها من الموضوعية؟ وهل يمكن دراسة الظاهرة الاجتماعية كما تدرس الأشياء؟

يتناول علم الاجتماع سلوك الجماعة، فالإنسان رغم استقلاله الفردي ينتسب إلى أسرة أو مهنة أو طبقة أو قومية، في ظل هذه الجماعات كلها تنشأ وتنمو طائفة من الظواهر، هي جملة من التصورات المشتركة نفسها على سلوك الأفراد وتتجاوز كياناتهم المستقلة، ولابد من إفراد هذه الظواهر بدراسة مستقلة تقوم على أساليب علمية . فموضوع علم الاجتماع هو الظواهر الاجتماعية وهي الظواهر التي تنشأ في ظل الحياة الاجتماعية، بما يسودها من نظم وعادات وتقاليد وأنماط من العلاقات المختلفة المتشابكة، إلى جانب هذا فإنها تمتاز بأنها جمعية تتمثل لا في ضمير الفرد الواحد بل في الضمير الجمعي كما يقول دوركايم . إن هذه الخصائص التي تتميز بها الظواهر الاجتماعية جعلت البعض يعتقدون أن هناك إمكانية لدراستها دراسة موضوعية، فما مدى صحة هذا الموقف؟

موقف المؤيدين:

يؤكد جملة من العلماء وفي مقدمتهم عالم الاجتماع الفرنسي "إميل دوركايم" أنه يمكن دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة موضوعية وعلمية لأنها ظاهرة شيئية فالظاهرة الاجتماعية تمتاز بأنها خارجة على الفرد مستقلة عن شعوره فالإنسان كما يقول "دوركايم" (ولد عام 1858 وتوفي عام 1917) عندما يتقصى سلوكه يجده مقيدا بجملة من الأعراف والتقاليد والقواعد هيئت من قبل فهو يأكل ويشرب ويلبس ويتحدث إلى الناس ويتعامل معهم تبعا لأساليب جاهزة، ديانته ومعتقداته التي ينتجها وجدت قبل أن يوجد ولغته يتكلم بها مع الناس لم ينشئها وطريقة المصافحة والسلام يلقنها فالظاهرة الاجتماعية إذن تأتينا من الخارج ونحن إنما نتلقاها ونتحلى بها. ومن هنا كان تنويه دوركايم بأنها أشياء قابلة للدراسة الموضوعية بواسطة المنهج التجريبي مثل الظواهر الطبيعية يمكن ملاحظتها وإقامة التجربة عليها للكشف عن القوانين التي تتحكم في سيرها وتطورها. فالمنهاج الموضوعي يقوم على ملاحظة نمو وتطور الظواهر الاجتماعية في مجتمعات محدودة يمكن التحكم فيها إلى حد كبير كالمجتمعات المدرسية والأندية والجمعيات الخيرية وما شاكل ذلك، فالتجريب هنا لا يعني إحداث حوادث جديدة بالمرة، بل تعديل بعض ظروف المجتمعات الصغيرة الضيقة وملاحظة نتائج هذا التعديل.

المناقشة: النقد الموجه لأصحاب هذه النظرية ما يلي: مهما حاول علم الاجتماع تحقيق نتائج علمية دقيقة إلا أنه يبقى يفتقر إلى اليقين لأن القياس أمر صعب التحقيق فيه بالإضافة إلى تدخل ذاتية الباحث في التفسير فطبيعة الظاهرة الاجتماعية تختلف عن الظاهرة الفيزيائية والكيميائية ذاتها ظاهرة لها خصوصيتها لذلك يجدون صعوبة في تطبيق المنهج التجريبي عليها رغم المحاولات الجارية.

1- عرض موقف المعارضين:

أما الموقف الثاني فيمثله الرافضون للمنهج التجريبي المؤكدون على أن الظاهرة الاجتماعية لا يمكن دراستها بواسطة المنهج التجريبي لأنها ظاهرة ليست مماثلة للظواهر الطبيعية (المادية) الجامدة والحية فهي تتميز بأنها ظاهرة تحمل طابعا معنويا روحيا، إنسانية تتصف بأنها ظاهرة جمعية تتمثل لا في ضمير الفرد بل في ما يسمى بالضمير الجمعي كما أنها متشابكة ومعقدة لذلك فهي لا تخضع للمنهج التجريبي وإنما يمكن أن يعتمد في دراستها على المنهج التاريخي الذي يعتمد على التحليل، فالظاهرة الاجتماعية ظاهرة تتحرك في الزمان والمكان، وهي لم تنشأ كاملة بالشكل الذي تبتدئ عليه في الحالة الراهنة، ولذا كان على الباحث الاجتماعي أن يتتبع ولادتها ونموها وتطورها من زمان إلى زمان ومن مجتمع

إلى مجتمع ليلاحقها في تبدلاتها وتحولاتها وتفاعلاتها مع مختلف الحوادث وفي الواقع فإن المقارنة تلعب دورا أساسيا. فإذا كان العالم الاجتماعي يدرس نظام الأسرة فبإمكانه أن يأخذ الأسرة في مجتمع معين، ثم يتتبع أطوار تاريخ هذا المجتمع وما حدث للأسرة في هذه الأطوار، وقد يلجأ إلى دراسة الأقوام البدائية باعتبارها تمثل نموذج أسرة معروفا لدينا، كما أن المقارنة قد تتم بين مجتمعات معاصرة.... ومن هنا نفهم الصلة القائمة بين علم الاجتماع والتاريخ فالمؤرخ يدرس حوادث جزئية في سياق زماني ومكاني معين ويربط هذه الحادثة بأسبابها الخاصة، بينما علم الاجتماع يدرس الحادثة في جميع مراحلها وأماكنها لاستخلاص قانونها العام وفي هذا المعنى يقال بان التاريخ مختبر علم الاجتماع أي أن التساؤلات التي تجري في نفس الباحث الاجتماعي يمكن إيجاد أجوبة لها ثنايا التاريخ.

المناقشة:

لقد وجهت جملة من الاعتراضات لأصحاب هذه النظرية تمثلت فيما يلي: إن المعارضين لعلمية العلوم الإنسانية وعلم الاجتماع بالذات يبالغون كثيرا في تصور الصعوبات وهي صعوبات منهجية بالفعل، ولكن هل هذا يعني أنه يجب أن نتخلى عن المنهجية العلمية في دراسة الحوادث أو الظواهر الإنسانية عامة والاجتماعية خاصة فالتطور الذي شهدته العلوم الإنسانية والأبحاث الاجتماعية جعل أمر الدراسة العلمية ممكنا.

الخلاصة: نستنتج مما سبق ذكره أن العلماء في الأبحاث الاجتماعية يتعرضون للعديد من الصعوبات أثناء تطبيقهم للمنهج التجريبي منها ما له علاقة بطبيعة الظاهرة نفسها ومنها ما له علاقة بشخصية الباحثين حيث أنهم يجدون صعوبة في التخلص من الذاتية كون الظاهرة جزء منهم لكن المحاولات جارية لتجاوز هذا الفشل والإقتداء بالعلوم الأخرى من أجل الوصول إلى الكمال.

تقييم عام للعلوم الإنسانية: إن العلوم الإنسانية رغم الصعوبات التي تجابه الباحثين في ظواهرها لا يمكن إنكار قيمتها مهما تكن نتائجها نسبية ومهما تكن دراستها لتلك الظواهر محفوفة بالمخاطر ومحدودة بالعقبات فإن العلماء يبذلون قصارى جهودهم من أجل تجاوز كل النقائص والسلبيات التي تحد من تطبيق التجارب العلمية، فالعلوم الإنسانية لا تقل أهمية عن علوم المادة الحية والجامدة، فكما تتوق هذه الأخيرة إلى الكمال في نتائجها فكذلك الأمر بالنسبة لهذه العلوم.

KADI 27-03-2017

الوحدة التعليمية الرابعة: في العلاقات بين الناس (التنافر والتجاذب)

المشكلة الجزئية الأولى: في الشعور بالأنا والشعور بالغير

تمهيد:

يقتضي التعايش الاجتماعي بين بني الإنسان ضرورة تشكيل نسيج من العلاقات بين أفراده فيها تفاعل فيما بينها تأثير وتأثر، وتنافر وانجذاب، فكل واحد من هؤلاء الأفراد يسعى للتعبير عن ذاته من أجل إثبات وجودها وتميزها عن غيرها والتساؤل المطروح هنا مركز حول الأنا وكيفية معرفة الذات وتميزها عن الآخرين.

ضبط الإشكالية: إن حركة التنافر والتجاذب التي تحكم حياة الناس قد تطغى عليها مظاهر العنف واللاتسامح حيث يضطرب حدود الحرية وتفتر العلاقة التكاملية التي تجمع بين هذا الأنا والآخرين فكيف يطمح الناس والحالة هذه إلى الحياة في ظل عولمة يعود فيها الشتات إلى شمله؟

يا ترى هل حقيقة الأنا الذاتي يتوقف على وعي (شعور) الذات لذاتها أم على معرفة الغير (المغايرة)؟

* - الشعور بالأنا والشعور بالغير:

1 - مفهوم الأنا: لغة هو ضمير المتكلم أما من الناحية الاصطلاحية فيؤكد الفلاسفة، منهم العرب أن الأنا يقصد به النفس المدركة والأنا عند الفلسفة الوجودية هو جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور في الواقع وهو أيضا الحقيقة الثابتة التي تعد أساسا للأحوال النفسية ولكل تغير يطرأ عليها.

2 - مفهوم الذات: من الناحية اللغوية عندما نقول جاء فلان ذاته أي جاء هو نفسه أو عينه كما يشار بها إلى ماهية الشيء وجوهره فعندما نقول هذه صفات ذاتية أي صفات جوهرية دالة على ماهية الشيء مناقضة للصفات العرضية. مثلا: العقل بالنسبة للإنسان صفة ذاتية يعرف بها ويميز من خلالها عن غيره.

3 - مفهوم الغير: يقصد به الآخر الذي يوجد خارج الذات وهو مختلف عن الأنا ومستقل

عنه فالغير شيء يباين ويغاير الأشياء الأخرى لذلك يشار به إلى كل موجود يكون مستقلا عن الذات وخارجا عنها .

* - إن هذه المفاهيم تتفاعل مع بعضها البعض فإذا كانت كذلك كيف يمكن للذات أن تعرف ذاتها.

* يا ترى هل معرفة الذات تتوقف على الذات أم على الغير؟

1/ الموقف الأول (توقف معرفة الذات على الذات نفسها):

يرى روني ديكارت أن كل ذات نجدها تعي ذاتها وتعرف حقيقة أناها وما يجري فيها من انفعالات وما يصدر عنها من سلوكات لأن الوعي هو الذي يعبر عن حقيقة الذات ويميزها ويصاحب كل فعالياتها. فالوعي يعتبر ميزة جوهرية في الذات، وهذا الأساس الذي تتوقف عليه معرفة الذات لذاتها وهو المصاحب لها طيلة وجودها وأي غياب للشعور أو الوعي يعتبر غيابا للذات أو الأنا وانعدامها فالوعي هو العنصر الأساسي المحدد لحقيقة الأنا الذاتي في إثبات وجوده وتفاعله مع غيره. وهذه الحقيقة هي التي توصل إليها ديكارت وأثبتها في فكرة الكوجيتو الشهيرة: " أنا أفكر إذن أنا موجود ". فالذات لا تنقطع عن التفكير (الوعي) إلا إذا انعدم وجودها فالشعور هو الذي به أعلم أنني موجودا وأن الغير موجود وأن العالم موجود. ويؤكد زعيم المذهب الظواهراتي أو الفينومينولوجي "أيدموند هوسرل": " أن الشعور هو دائما شعور بشيء وهذا يقتضي أن تكون الذات الشاعرة واعية لذاتها حتى يمكنها أن تعي الأشياء والموضوعات ". وعليه يمكن القول أنه كلما كان الوعي بالذات أكثر، كلما كانت الذات أو الأنا أكثر تحقيقا لنفسها، وتأكيدا لوجودها وكيانها، وأكثر معرفة بفعاليتها وانفعالاتها ونقاط قوتها وضعفها وقد أكد سقراط قديما هذا فقال: " اعرف نفسك بنفسك".

المناقشة:

لقد وجهت جملة من الانتقادات لأصحاب هذا الموقف فالتفسير بالوعي يحمل العديد من السلبيات لذلك لا يمكن جعله أساسا لمعرفة الذات وإدراك الأنا فهو يتصف بالنقص والعجز في معرفة الأنا وتتمثل هذه النقائص فيما يلي:

أولا: إن الوعي الذاتي، قد يكون مجرد تأمل ميتافيزيقي، واستبطان ذاتي يعبر عن أوهام ضمنية لا تعبر عن حقيقة الذات وجوهر تميزها.

ثانيا: كما أن اعتبار الوعي هو المؤسس للذات ووجودها قد يكون مجرد خداع، وانطباعات خاطئة، تعبر عن ظلال الحقيقة وليس جوهرها، كما يشير إلى ذلك أفلاطون في أسطورة الكهف أن الناس في هذا العالم يماثلون أناسا وجدوا في كهف مكبلين بالأغلال و القيود في

أعناقهم وأيديهم وأرجلهم لا يدركون في هذا المكان سوى أشباح أو ظلال مرسومة على جدار موجود أمامهم هي انعكاس لما هو خارج الكهف فلو افترضنا أن أحد منهم فلت أغلاله واستدار إلى الخلف ثم خرج من الكهف لانبهر بما وجده في ذلك المكان فكذلك الإنسان عندما يصل إلى الحقيقة بواسطة العقل فإنه ينبهر بها.

ثالثا: كما أن الشعور أو الوعي قد يضللنا ويخدعنا ويوهمنا بأشياء لا توجد في العالم الخارجي.

رابعا: كذلك فرضية اللاشعور في علم النفس الحديث الذي أثبتت أن هناك مساحات واسعة في الذات مظلمة لا يستطيع الوعي الذاتي (الشعور) الوصول إليها إلا بالعلاج. فيمكن التأكيد بأن حقيقة الأنا الذاتي لا تتوقف على وعي الذات لذاتها وإنما على معرفة الغير.

ج- الموقف الثاني (تتوقف معرفة الذات على مغايرة الغير):

يؤكد جملة من المفكرين من بينهم الفيلسوف الألماني فريدريك هيغل أن معرفة الذات تتأسس على المغايرة والتناقض. فأساس التعرف على الذات أو الشعور بالأنا قد لا يتحدد إلا من خلال الغير أو الآخر، كأنا خارج الذات ومستقلا عنها مما يقتضي:

أولا: أن الغير يعتبر أحد مكونات الوجود وأنا جزء من هذا الوجود مما يعني أن الغير يشاركنا الوجود، وهو يقابلنا ويخالفنا، وهذا يؤدي إلى تنبيه الذات لتقارن ذاتها بالآخر وتستنتج التمايز والاختلاف وهذا ما يشير إليه المفكر الإنجليزي جورج باركلي على أن التعرف على الغير يكون عن طريق المقارنة بين أفعالنا والمعاني التي تصحبها في ذهننا وبين أفعال الغير فنستنتج بالتجربة التماثل في هذه الأفعال بيننا وبين الآخر والاختلاف عنه.

ثانيا: وجود الغير قد يكون دافعا أساسيا لضبط وتنمية وعي الذات لذاتها، ومعرفة مقوماتها وصفاتها.

ثالثا: كما أن الأنا ليس منغلقا على نفسه، بل يعيش صيرورة الحياة مسايرة لصيرورة الوجود وهو هنا ليس الأنا الوحيد بل معه الأنا الآخر (الغير) وهذا يقتضي التفاعل معه والاعتراف به كأنا مغاير لنا. وهذا يدفع إلى وعي التباين والاختلاف الموجود بين الأنا والغير وضبط الصور والكيفيات بينهما وهذا من شأنه أن يمكن الذات لتعرف حقيقة ذاتها. كل هذا يؤكد أن الغير له دور في تحريك آليات وعي الذات لذاتها سواء بالمشاركة أو التأثيرات العملية في إطار نظام الحياة الاجتماعية. فمعرفة الأنا وإدراك حقيقة الذات، في هذه الوجهة التي يمثلها هيغل تقوم على العلاقة الجدلية بين الأنا والآخر لأن كل موضوع عناه يعتمد على نقيضه فالشعور بالأنا يقوم على مقابلته بشعور الغير كنقيض وعندئذ يتعين على كل من الشعورين أن يتغلب على الآخر، والدخول في صراع عنيف، يحاول كل منهما أن يفرض نفسه على الآخر كموضوع رغبة ، وانتصار أحدهما هو زوال الآخر." ويمكن توضيح هذا المعنى من خلال جدلية هيغل الشهيرة المعبرة عن علاقة التناقض التي

تجمع السيد بالعبد حيث في الأخير يصبح العبد نتيجة للعمل سيد السيد ويصبح السيد نتيجة لفقدان التأثير في الطبيعة وفي العبد عبد العبد. ومنه نستنتج أن معرفة الذات على أساس المغايرة أو التناقض تستلزم وجود الغير لضرورة وجود الوعي بالذات لأن الغير يعتبر من أبعاد مكونات الأنا وتفاعلاته. وهذا ما تؤكده أيضا الفلسفة الوجودية مع جون بول سارتر التي ترى بأن إدراك الوجود الحقيقي يقتضي الوعي الإنساني الكامل الذي يسعى لخلق ماهيته من خلال الاختيار الحر لأحد الممكنات الموجودة وتحمل مسؤولية ذلك الاختيار فلا تتوقف معرفة الذات على الذات وإنما على الغير رغم أنه يمثل الجحيم يقول سارتر:" إن الغير هو الجحيم ".

المناقشة:

لقد وجهت جملة من الانتقادات لأصحاب هذه النظرية تمثلت فيما يلي:

إن حقيقة الأنا الذاتي لا تتوقف على معرفة الغير المغاير والمناقض وإنما يرجع إلى وعي الذات لذاتها فتفسير الأنا بالغير بالرغم ما له من أثر على الذات ومعرفة حقيقة وجودها من خلال فعل التواصل، إلا أنه لا ينبغي أن يتحول إلى هيمنة على الذات وتذويبها وسلب معناها، لأنها كيان مستقل وهوية متميزة. كما أن ربط التواصل مع الغير في إطار علاقة التناقض والصراع والسعي للانتصار وإخضاعه لا يؤدي إلى الاعتراف بالآخر كما أنه منطق يمكن للهيمنة والتناحر والتنافر والتصارع والإفناء (شيوع قانون الغاب الذي يعمل بمبدأ البقاء للأقوى) وهو منطق لا يتناسب مع كرامة الإنسان ورقي عقله.

3 – **الموقف الثالث (تتوقف معرفة الذات على التواصل بين الأنا والآخر):**

وعليه يمكن القول بأن التواصل بين الأنا والغير يمكن لمبدأ التعادل بين الذات والغير واعتراف كلاهما بالآخر دون إقصاء أو إلغاء أو تهميش.

النتيجة:

ومجمل القول هو أن هذه الأسس التي تمكن لمعرفة الذات والآخر مهما كانت هيمنتها وأثرها فإنها تبقى أطروحات فكرية مجردة والأرجح أن حقيقة الأنا الذاتي يتوقف على وعي الذات لذاتها وعلى معرفة الغير من جهة أخرى. "فأعرف نفسك بنفسك ومن خلال الآخرين". كما أن العلاقة بين الذات والغير وجب أن تتأسس وفقا لثقافة السلم والوئام والتعايش في حال ما إذا اختلفت العقائد والمذاهب الفكرية كما وجب أن تحكمها جملة من المبادئ منها: مبدأ الغائية الذي يقول اعمل على نحو تعتبر فيه الإنسانية ماثلة في نفسك وفي الآخرين غاية لا وسيلة، أو بعبارة أخرى مبدأ الأخوة إن لم تكن في الدين تكن في الإنسانية .قال صلى الله عليه وسلم تأكيدا للمساواة بين البشر: " كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ."



الإشكالية الجزئية الثانية : في الحرية والمسؤولية

تمهيد:
إن العدل معناه أن يكون الناس ناهضين بالمسؤوليات العامة، متعاونين ومشتركين في الخير، فيهيئون بذلك فرصة لكل فرد في العمل والحياة والحرية. وبالتالي فمن بين المواضيع الفلسفية الكبرى التي ناقشها الفلاسفة قديما وحديثا موضوع الحرية والمسؤولية وعلاقة كلاهما بالآخر.

ضبط الإشكالية: ما مفهوم الحرية والمسؤولية؟

أولا: ضبط مفهومي الحرية والمسؤولية.

أ- مفهوم الحرية:

عرفت عند العوام بأنها كلمة مرادفة للاستقلال فعندما نقول أخذت العراق حريتها أي أخذت استقلالها وهي أيضا تعرف في حياتنا اليومية بأن يفعل الإنسان ما يشاء على مستويات متعددة أي على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والشخصي أما لغة فهي تعني انعدام القسر أو القهر أو الجبر أو الإلزام فعندما نقول إننا أحرار لسنا مقهورين أو مكرهين في أفعالنا أما اصطلاحا فقد تعددت تعريفاتها ومن أهم هذه التعريفات أن الفعل الحر هو الفعل المختار عن روية وتدبر وتعقل كما عرفت بأنها تجاوز كل إكراه داخلي أو خارجي أو هي إرادة الاختيار أو فعل أحد الأمرين على الخيار، أو هي فعل أحد الضدين على الخيار.

ب - مفهوم المسؤولية:

عرفت عامة بالمنصب الذي يحتله الفرد داخل المجتمع من خلاله توكل له مهام يدير بها شؤونه وشؤون الآخرين. أما لغة فهي تعني السبب أو العلة فمثلا عندما نقول الأب مسؤول عن فشل ابنه في الامتحان أي أنه سبب ذلك أو علة ذلك. كما أنها مشتقة من الفعل

سأل بمعنى استفهم أو استفسر عن حدث ماض ترك آثاره في الزمن الحاضر، فالقاتل ترك مقتولا فهو يسأل عن دوافع القتل...، وهي أيضا مرادفة للتكليف أو الأهلية.

ومن الناحية الاصطلاحية عرفت بأنها تحمل الفرد نتائج أفعاله سلبا أو إيجابا أمام سلطة داخلية هي الضمير الأخلاقي وسلطة خارجية هي المجتمع يتبعها جزاء سواء كان ثوابا أو عقابا. وهي تشمل نوعان من المسؤولية: المسؤولية الأخلاقية والمسؤولية الاجتماعية.

ثانيا: العلاقة بين المسؤولية والحرية:

أ/ الحرية شرط للمسؤولية:

ضبط الإشكالية: هل الإنسان مسير أم مخير؟

*** - موقف مؤكدي وجود الحرية وبراهينهم:**

يرى كل من "روني ديكارت، إيمانويل كانت، ماندوبيران وفرقة من المعتزلة بزعامة الشهرستاني وعلماء القانون الفرنسي " بأن الإنسان مخير في جميع أفعاله أي أنه حر في جميع أفعاله حرية مطلقة فالحرية لديهم ليست وهما وخيالا من إبداع الإنسان وإنما هي واقع معاش وقد اعتمدوا في تأكيد موقفهم على جملة من البراهين:

أولا: البرهان النفسي: أكد فيه المعتزلة بزعامة الشهرستاني أن الإنسان يحس بنفسه وقوع الفعل بحسب الدواعي أو الصوارف فإذا أراد الحركة تحرك وإذا أراد السكون سكن فالحرية عندهم تدرك من الداخل لأنها حالة شعورية كما ذهب روني ديكارت إلى نفس الفكرة حيث اعتبر الحرية بديهية أي قضية واضحة بذاتها لا تحتاج إلى برهان فكما أننا لا نستطيع إنكار الفكرة " أنا أفكر فأنا موجود " فكذلك لا يمكن إنكار الفكرة "أنا حر "

أما برغسون فقسم الأنا إلى قسمين:

الأنا السطحي: وهو الذي نتصل به بالعالم الخارجي نكون فيه مكبلين بالقيم (العادات، التقاليد، المعتقدات والأعراف الاجتماعية التي تحمل طابعا إلزاميا).

الأنا العميق: ويشمل الخواطر والمشاعر والميول والأهواء وكل ما له علاقة بما هو شعوري لا يعيه إلا صاحبه أو الذات التي تعانيه نكون فيه أحرارا حيث أننا نستطيع أن ننتقي الخواطر التي نريدها ونرغب فيها فبإمكاننا أن نتذكر ما نشاء ونتخيل ما نريد من الصور المختلفة والمتنوعة فلا يستطيع الآخرون منعنا من ذلك إذن فالحرية حالة شعورية لا يستطيع الإنسان أن يتأكد من وجودها إلا إذا تأمل ذاته.

ثانيا: البرهان الأخلاقي: وفيه أكد المعتزلة بزعامة الشهرستاني أن التأكيد والجزاء يشترطان الحرية فيمكن أن يسقطا إذا كان الإنسان مجبرا أو مكرها في أفعاله وهذا ما هو مؤكد في

الآية الكريمة " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " وفي قوله تعالى " من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " فالعدل الإلهي يستلزم أن يكون الإنسان مختارا في أفعاله فلا يجوز عقاب من أكره على فعل هو ليس راغبا فيه أما إيمانويل كانت فقد رأى بأن الحرية مسلمة لا يمكن إنكارها لأنها قضية واضحة بذاتها لا تحتاج إلى برهان والواجب الأخلاقي عنده يشترط وجودها فقد قال: " يجب عليك لأنك تستطيع ".

ثالثا: البرهان الاجتماعي: أكد فيه علماء القانون الفرنسي بأن إبرام العقود وإنشاء الاتفاقات يشترط الحرية فإذا كان العقد يترتب عليه تنازل عن بعض الحقوق أو كلها لصالح أحد الطرفين فلا يجوز أن يكون أحدهما فاقدا للحرية وإلا فقد العقد قيمته فالجبر يسقط الاتفاق أو العقد الاجتماعي فلا يمكن أن تتم عقود البيع أو الإيجار أو الزواج ... إلا إذا توفر شروط الحرية بين المتعاقدين.

رابعا: البرهان الميتافيزيقي: أكد فيه المفكر الفرنسي ماندوبيران أن الحرية مرادفة للوجود " فنحن موجودون بقدر ما نحن أحرار " أما إيمانويل كانت وأفلاطون فقد أكدا أن الخير قسمان : - الخير المطلق أو التام : وهو الذي نقوم به لذاته ولا نريد من ورائه تحقيق منفعة فهو صادر عن العقل يتوفر على الحرية حين القيام به ولا نقوم به ونحن مكرهين. -الخير النسبي أو الناقص: هو الذي لا نقوم به لذاته وإنما من أجل تحقيق منفعة معينة نابعة من الطبيعة البشرية التي هي كتلة من الغرائز " ميول، أهواء، رغبات، عواطف ... " لا نملك فيه الحرية لأننا نستجيب فيها لنداءات طبيعتنا البشرية.

المناقشة: النقد الموجه لأصحاب هذه النظرية فهو يتمثل فيما يلي:

أولا: إن أصحاب هذا الموقف أنكروا القضاء والقدر وأعطوا للإرادة صفة ليست لها بحيث نقول للفعل كن فيكون والصحيح هو أن الإنسان في أفعاله لا يملك حرية مطلقة وإنما هو مقيد بإرادة الله سبحانه وتعالى فكل شيء قضاء وقدر لأن الإيمان بهذا الأخير هو ركن من أركان الإيمان التي لا يمكن إنكارها وأن كل شيء يسير بمشيئة الله لا بمشيئة البشر.

ثانيا: إن أصحاب البرهان النفسي حينما حصروا الحرية في الشعور وأنها لا تدرك إلا من الداخل فقد جعلوا بهذا الإنسان انطوائيا وانعزاليا لا يتمكن من معرفة أنه حر إلا إذا غاص في ذاته وابتعد عن الآخرين والحرية الحقيقية لا تتجلى في شعور الفرد بأنه حر وإنما في بتحرير الآخرين من الخارج فما قيمة أن يشعر الإنسان بالحرية من الداخل وهو مكبل

بالأغلال من الخارج كما يمكن التأكيد بأن الشعور يمكن أن يوهمنا بأننا أحرار ونحن في الحقيقة فاقدون للحرية فهو أداة يمكن أن تخدعنا وتوقعنا في الخطأ.

ثالثا: إن أصحاب البرهان الأخلاقي لم يبرهنوا على الحرية كموضوع مستقل عن التكليف والجزاء والواجب الأخلاقي وإنما كشرط لهم فقط كما أن الواقع والتاريخ يؤكدان بأن كثيرا من الأفراد كلفوا تكاليفا لا يطيقونها وعوقبوا على أشياء لم يرتكبوها فبالرغم من أن البعض لا يملكون السعة والاستطاعة البدنية إلا أنهم ألزموا بالقيام بواجبات متعددة.

رابعا: أما أصحاب البرهان الاجتماعي فقولهم نظري لا يطابق الواقع فكثير من العقود المبرمة داخل المجتمع الإنساني تفتقد لشرط الحرية سواء كانت هذه العقود تجارية: إيجار، زواج، بيوع... فكم من فرد وافق على إبرام عقد من هذه العقود وتنازل عن بعض أو كل حقوقه وهو مرغم على ذلك لا بطل.

خامسا: أما ما جاء في البرهان الميتافيزيقي فيتميز بالمثالية بعيد عن الواقع فالذي يقدم إلى فعل الخير مهما كان فإنه يرتجي منفعة عاجلة أو آجلة.

* - موقف نفاة الحرية ومنكروها:

يرى الجبريون والحتميون بأن الإنسان مسير في جميع أفعاله فالحرية وهم وخيال من إبداع الإنسان واعتمد أصحاب هذه النظرية على الأدلة التالية:

فالجبرية بزعامة جهم بن صفوان أكدت أن مصير الإنسان محدد منذ الأزل وأن كل شيء هو قضاء وقدر ومكتوب بصفة مطلقة فالفعل ليس فعلنا وإنما فعل الله سبحانه وتعالى وهذا ما هو مؤكد في الحجج أو الشواهد الآتية:

أولا: حجة نقلية: مأخوذة من القرآن الكريم قال تعالى:" قل لن يصيبنا إلى ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون " وقوله أيضا " وما تشاؤون إلا أن يشاء الله " وقوله كذلك:" وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى".

ثانيا: حجة منطقية: أكدوا فيها أنه مادام الله سبحانه وتعالى لا يشبهه أحد من خلقه ليس كمثله شيء وهو الفعال لما يريد وخالق للأفعال ولا يجوز أن يشترك معه مخلوق من مخلوقاته في هته الصفة أي صفة الخلق ومن يقول أن الإنسان خالق للأفعال فهو كافر.

ثالثا: دليل واقعي: أو بالإضافة، أكدوا فيه أنه مادام الفعل فعل الله سبحانه وتعالى فأفعالنا نسبت إلينا مجازا فقط كما تضاف إلى الكائنات الأخرى مجازا أيضا فعندما نقول مات زيد فزيد لم يمت بنفسه بل أماته الله سبحانه وتعالى وعندما نقول قام البناء فهذا البناء أقامه الله سبحانه وتعالى.

أما الحتميون ومن بينهم : كلود برنار، باسكال، نيوتن، لابلاس وعلماء وظائف الأعضاء وعلماء الاجتماع أمثال إميل دوركايم وعلماء مدرسة التحليل النفسي فقد أكدوا بأن الإنسان يخضع في أفعاله إلى شروط وحتميات متعددة لذلك فهو مسلوب الإرادة والحرية ومن بين الحتميات التي تسيره ما يلي:

1 الحتمية الفيزيائية: أكد فيها العلماء أن الإنسان مادام مماثلا للطبيعة في الظواهر التي تكون العالم فهو يخضع لنفس النظام الذي تخضع له فنفس الشروط الفيزيائية إذا توفرت فإنها تؤدي إلى نفس النتائج فإذا كانت الظواهر الجامدة مثلا تخضع إلى قوانين معينة كقانون الجاذبية أو الضغط أو الحرارة ... فالإنسان - باعتبار أنه يتألف من نفس العناصر الكيميائية التي تتألف منها - يخضع حتما لنفس القوانين.

2 الحتمية البيولوجية: أكد فيها علماء وظائف الأعضاء والوراثة أن التركيب الجسماني يتحكم دائما في الأفعال فهذه الأخيرة انعكاس للشروط التي يوجد عليها لأن نفس الشروط تؤدي دائما إلى نفس النتائج فإذا ما حدث خلل في الغدة الدرقية مثلا نتج عن ذلك توتر واضطراب وقلق على مستوى السلوك.

3 الحتمية النفسية: أكد فيها زعيم مدرسة التحليل النفسي سيغموند فرويد أن اللاشعور يتحكم في جميع أفعالنا ويسيطر عليها فنفس الشروط التي تحدد الناحية النفسية تؤدي إلى نفس النتائج على مستوى الأفعال فنحن لا نفعل إلا ما يعبر عن رغبتنا المكبوتة وما لم نستطع تحقيقه في الواقع، فعجزنا عن استرجاع الأحداث الماضية والمعارف السابقة يرجع إلى اختفائها من منطقة اللاشعور كما أن أي عرض من الأعراض العصبية والأمراض النفسية يؤكد وجود اللاشعور.

4 الحتمية الاجتماعية: مفادها حسب إميل دوركايم أنه مادام الإنسان عجينة من صنع المجتمع فهو لا يستطيع أن يفعل إلا ما تمليه الجماعة التي ينتمي إليها فأفعاله دائما انعكاس للقيم (العادات والأعراف و التقاليد و المعتقدات) الموجودة داخل المجتمع الذي ينتمي إليه لأن كل ما يأمر به المجتمع فهو خير وكل ما ينهى عنه فهو شر فالضمير الفردي مرآة عاكسة للضمير الجماعي فهو يقول: حينما يتكل الضمير فينا فإن المجتمع هو الذي يتكلم بعاداته وتقاليده ومعتقداته ...

المناقشة:

والنقد الموجه لأصحاب هذه النظرية متمثل فيما يلي: لقد سلبوا من الإنسان إرادته وجعلوه كالريشة في مهب الريح لا حول له ولا قوة أما أنه خاضع بصفة مطلقة لقوة خفية متمثلة في

الله سبحانه وتعالى أو أنه مقيد بشروط وحتميات متعددة فالواقع يؤكد أن الإنسان يملك إرادة اختيار في أفعاله وليس كما اعتقد الحتميون والجبريون فالقضاء ليس مبرما بصفة مطلقة فالجبرية من الفرق التي شتتت شمل الأمة وفرقت المجتمع الإسلامي وعطلت مجموعة من القيم التي يؤمن بها المسلمون كبعثة الأنبياء والرسل وقيمة وجود يوم القيامة كما أنها نسبت الظلم إلى الله، وتعالى الله عما يقولون فهو عادل وهذا ما هو مؤكد في الآية الكريمة " وما ربك بظلام للعبيد " كما يمكن التأكيد بأن التكليف والجزاء يسقطان إذا كان الإنسان مجبرا في أفعاله لأنهما يشترطان الحرية كما أن هذه الفرقة قد استغلت أفكارها سياسيا لتبرير ظلم الحكام وفساد أنظمتهم والحادثة التي وقعت في خلافة هشام بن عبد الملك تؤكد ذلك أما الحتميون فقد ماثلوا بين الفرد والجماعات فما يسري على هذه الأخيرة يسري عليه فالإنسان مختلف في الطبيعة عن الظواهر الجامدة فقد منحه الله عز وجل إرادة يتحكم بواسطتها في أفعاله وميزه بالعقل حتى يدرك الاختلاف الموجود بين الأشياء أي باستطاعته أن يعي أفعاله كما أن التطورات التي حصلت في الميدان العلمي والتقني مكنت الإنسان من السيطرة على ناحيته النفسية كما أن التاريخ والواقع يؤكدان بأن الفرد ليس دائما تابعا لمجتمعه فكم من فرد هو مفكر أو مصلح اجتماعي ساهم في تغيير نظم المجتمع الذي ينتمي إليه فمحمد عبده والأفغاني وبن باديس وغيرهم آخرون استطاعوا أن يغيروا مجتمعاتهم كما أن حال الأنبياء والرسل تؤكد عكس ما جاء به الحتميون الاجتماعيون فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم استطاع – بعون الله عز وجل – أن يغير المجتمع الجاهلي فكانت الجماعة التي آمنت به وسيلة لنشر دعوته.

النتيجة:

وقصارى القول فإن الحرية الإنسانية ليست مطلقة وإنما نسبية محدودة بإرادة الله سبحانه وتعالى وهذا ما هو مؤكد في الآية الكريمة: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة يوسف – الآية –21) وفي الحديث القدسي قال تعالى: "عبدي إنك تريد وأنا أريد وما يكون إلا ما أريد فإن أطعتني فيما أريد أعطيتك ما تريد وإن عصيتني فيما أريد كتبت لك الشقاء فيما تريد " .

ب/ المسؤولية كنتيجة تبرر الحرية كشرط لها:

إن المسؤولية من القضايا أو المشكلات الفلسفية والاجتماعية التي بحث فيها الفلاسفة.

ضبط الإشكالية: هل الإنسان مسؤول عن أفعاله؟

*** – موقف الإتجاه الكلاسيكي:**

يرى أصحاب نظرية الاختيار أو النظرية العقلية الذين من بينهم أفلاطون وروني ديكارت

KADI

وإيمانويل كانت والمعتزلة ولايبنتز... أن الإنسان مسؤول عن جميع أفعاله وأن المجرم ليس مدفوعا إلى ارتكاب الجريمة، فهذه الأخيرة وليدة الفرد وقد اعتمدوا في تأكيد هذا الموقف الأدلة الآتية:

أولا: دليل وجود العقل: أكدوا فيه أن الإنسان مادام عاقلا يملك القدرة على التمييز بين الخير والشر إذن فهو يتحمل نتائج أفعاله فوجود العقل يجعل الإنسان مسؤولا مسؤولية مطلقة عن جميع أفعاله.

ثانيا: دليل وجود حرية الاختيار: أكدوا فيه أن الإنسان مسؤول عن كل ما يفعل لأنه حر طليق يفعل ما يريد دون إكراه أو ضغط داخلي أو خارجي هذا الرأي أخذ به أصحاب النظرية التقليدية الذين يعتبرون الإنسان مختارا وحرا في ارتكاب فعل كان في مقدوره الامتناع عنه مثلا سأعد مذنبا عندما أقترف ذنوبا عن وعي وحرية مع علمي بالقيم الأخلاقية وقدرتي على أن أتصرف تبعا لمعطياتي فالدوافع التي تدفعني إلى السوء سواء كانت موضوعية أو ذاتية لا تعد مسؤولة عن تحديد وتوجيه سلوكاتي، فأنا الذي أختار الانقياد لها يقول ديكارت: إننا نتحمل مسؤولية الخطأ ورغم ذلك يجب على إرادتنا المسؤولة عنه أن تحترز بعزم ثابت على عدم الموافقة على أمر غامض أصلا بحرية مطلقة في الاختيار تتجاوز جميع الدوافع. وهذا الموقف يعبر عنه أفلاطون بقوله: إن الذين استشهدوا في ساح المعركة ثم رجع منهم من شاء له الرجوع، هم الذين اختاروا ذلك ثم بعد رجوعهم يشربون من نهر النسيان فلما يعودون إلى الأرض، وفي الأرض يكونون قد نسوا بأنهم هم الذين اختاروا ذلك فيأخذون في اتهام القضاء والقدر وفي هذا الاتجاه كذلك يعتقد إيمانويل كانت أن فاعل السوء هو الذي يختار بكل حرية فعله هذا أو تصرفه هذا حيث كان بإمكانه أن يمتنع عن فعل السوء لو اختار الخضوع للعقل ولم يختر الخضوع لطبيعته البشرية التي هي كتلة من الأهواء والميول والغرائز، فالشرور الفاشية في العالم إنما هي نتيجة حرية الاختيار أما العقوبة في نظر أصحاب هذا الموقف تهدف إلى إعادة الصفاء الروحي للفرد أي أنها تحمل بعدا أخلاقيا.

المناقشة: لقد وجهت عدة اعتراضات على النظرية المثالية وهي تتعلق: أولا: بتصورها المسؤولية وثانيا بمشروعية العقاب ودوره يرى الفيلسوف الفرنسي لاشوليه Lachelier أن الفعل الحر فعل نختاره بشكل مستقل عن أي ضغط أو إكراه، فهو بهذا المعنى فعل غامض إذ لا يمكن رده إلى سبب أو دافع معين، فلا الميول ولا العواطف ولا الأفكار ترغم الإنسان على القيام بفعل شرير لأنه يملك دائما إمكانية الفعل أم الترك أي أن مثل

هذا الفعل مستقل في نهاية المطاف عن كل ما يدخل في تكوين شخصيتنا كالطبع والميول والدوافع..

ومن ثمة فلا شيء يبرر نسبته إلينا، كيف يمكن أن أتحمل مسؤولية فعل لا يكون نتيجة أفكاري أو عواطفي أو رغباتي أو ميولي.. كما أنها أنكرت أن تكون الجريمة ناتجة عن أسباب وظروف تحتم وقوعها، وكذلك لا يمكن محاربتها والقضاء عليها حقيقة وهي نظرية تهمل إلى حد ما حقوق المجتمع على الفرد على أساس أنها بالغت في العناية بالجانب الأخلاقي للجريمة وأهملت ضرورة الدفاع عن مصالح المجتمع.

* - الاتجاه الوضعي:

أما النظرية الوضعية أو الواقعية أو الإصلاحية فيرى أصحابها الذين يؤمنون بمبدأ الحتمية المطلق أن العلم قادر على إيجاد الحلول المناسبة للمجتمع لجميع المشاكل الإجرامية لذلك فهم ينظرون إلى الجريمة نظرة علمية اجتماعية ومن بين هذه الآراء المشهورة في هذا المجال ما يلي:

أولا: موقف سيزار لومبروزو lombrozo مؤكدا أن الجريمة وليدة عوامل بيولوجية تتمثل فيما يسميه بالنقائص البيولوجية وهي في الغالب وراثية يزود بها المجرم منذ ولادته. وحينما يستطيع العلم اكتشاف الأسباب بدقة يمكن للإنسان عندئذ أن يعالج السلوكات الإجرامية المرضية وأن يتنبأ بها.

ثانيا: موقف أنريكو فيري: ferry يؤمن بدوره أن الجريمة وليدة ظروف اجتماعية قاهرة لا تستطيع إرادة المجرم التغلب عليها. إن الظروف الاجتماعية القاسية اللاإنسانية التي تتمثل في وجود الغنى الفاحش بجوار الفقر المدقع المذل لكرامة الإنسان هو الذي يفسر انتشار الجرائم.

ثالثا: موقف نظرية التحليل النفسي: (فرويد) ferued يفسر بعض السلوكات الإجرامية بردها إلى قوى نفسية لاشعورية تتمثل في بعض الدوافع والميول والذكريات المكبوتة في لاشعور الإنسان منذ أيام الطفولة، يمكن أن نفسر مثلا السرقة كمحاولة لاسترجاع ما أخذ من الشخص كما يفسر الخروج عن القانون ومختلف أشكال التمرد والثورة كثورة ضد الأب الذي يمثل السلطة عند الطفل أي أنه شكل من أشكال إرضاء الغريزة العدوانية التي استحال تصعيدها هنا، ورفض سلطة الأب القاهرة التي تمنع الطفل من إشباع رغباته كلها.

والعقوبة عندهم تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي أي الحد من انتشار الجريمة، لكن لماذا نعاقب المجرمين إذا كانت الجرائم نتيجة حتمية لظروف معينة لا تقدر إرادة الفرد على مقاومتها والتغلب عليها؟

إن الغرض من العقاب بالنسبة لأنصار النظرية الوضعية هو المصلحة والدفاع عن الحقوق للمجتمع، حقوق ينبغي أن يدافع عنها ويحميها، لذلك العقوبة لا تكون وفقا لبشاعة الجريمة وإنما تحدد وفقا لخطورة المجرم وحدها. والمهم في جميع الحالات هو أن يمنع المجتمع كل شخص لديه ميول إجرامية من الاعتداء على حقوق الناس وذلك باتخاذ إجراءات الردع الضرورية والدفاع الاجتماعي، وهذا يتحقق بعدة أساليب كإعدام المجرمين أو علاجهم وإعادة تربيتهم. إن خطورة المجرم هي التي تحدد نوع الإجراء الذي ينبغي أن يتخذ ضده وليس الجريمة في ذاتها.

المناقشة:

إن أصحاب النظرية الوضعية وقعوا في تناقض من جهة يؤكدون أن الإنسان ليس مسؤولا عن أفعاله وأن المجرم مدفوع إلى ارتكاب الجريمة من جهة أخرى يطالبون بعقابه .كما أنهم اهتموا كثيرا بالجريمة وما يترتب عنها من نتائج سلبية وأهملوا المجرم أي أنهم ركزوا المجتمع وأهملوا الفرد. فالإنسان ليس في جميع الأحوال مسلوب الإرادة مغلوب عن أمره وإنما بالإمكان أن تتجاوز الظروف القاهرة سواء تعلقت بالناحية البيولوجية أو النفسية وتتجلى في الظروف الاجتماعية التاريخ يؤكد لنا أن كثيرا من الأفراد استطاعوا أن يتجاوزوا ظروفهم ولم ينجرفوا عن الطريق وكانوا أساسا فضلاء مثلا الإمام الشافعي رحمه الله...

النتيجة:

وفي النهاية نصل إلى القول بأن شرائع الأمم المتمدنة أو المتحضرة تؤكد أن الإنسان كفرد لا يكون مسؤولا مسؤولية جنائية إلا إذا توفر على الشروط الآتية: أن يكون كائنا حيا عاقلا وحرا وراشدا وبالغا، مع مراعاة النية أو القصد. وهذا ما أكده الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه المسؤولية والجزاء، فالعلاقة وطيدة بين الحرية خاصة والمسؤولية كما يمكن التأكيد بأن المسؤولية ليست فردية فقط وإنما مسؤولية الإنسان جماعية وهذا ما أكده قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث: " كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته...." وكذلك تم تأكيده من قبل بعض الفلاسفة من بينهم جون بول سارتر.

KADI

■ المشكلة الجزئية الثالثة : في العنف والتسامح

تمهيد :

لقد انتشرت في هذا العالم وتفشت في المجتمعات الإنسانية ظاهرة تعد من أصعب الظواهر وأعقدها على الإطلاق هي ظاهرة العنف، فما المقصود بهذا الأخير؟

1 - مفهوم العنف:

عرف العنف عامة بالخشونة والغلظة واستخدام القوة ضد الآخرين للنيل منهم وإخضاعهم للإرادة الفردية أو الجماعية أما من الناحية اللغوية فكلمة العنف تعني قلة الرفق وانعدام اللين وغيابه وحضور الشدة في التعامل والممارسات هذا عند العرب أما عند الفرنسيين فيقصد به الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الضرر أو الأذى بالأشخاص والممتلكات، ويتضمن ذلك معنى الاغتصاب والعقاب والتدخل في حريات الآخرين ويعرف أيضا بأنه كل عمل يضغط به شخص على إرادة الغير لسبب أو لآخر باستعمال القوة.

أسبابه:

يتجلى العنف في أشكال متعددة منها ما هو مادي كالضرب وتخريب أموال الآخرين والقتل أو إزهاق الأرواح ومعنوي له علاقة بالإساءة والتجريح والتهكم والاحتقار للآخرين وهو ما يتعلق بالقيم المعنوية كانتهاك الأعراض والإساءة إلى الإنسان في معتقده ويمكن التأكيد من العنف ما هو ظاهر للعيان مثل عمليات القمع والإرهاب البوليسي والحروب التي الغاية منها السيطرة على الآخرين وسلبهم ثرواتهم وما هو خفي ينحصر في مراقبة الناس وتتبع عوراتهم ومتابعة سلوكاتهم ورميهم بالتهم كما يتجلى في مظاهر عدوانية مثل الغيرة والنميمة والحسد فالعنف يبرز ويظهر في كل مجالات الحياة وفي مؤسسات اجتماعية متعددة كداخل الأسرة وفي الجامعة والأماكن العامة والأندية والجامعات وفي المنافسة السياسية والخلافات الحادة بين الأحزاب والجمعيات... الخ. لذلك يجعله العلماء مصنفا

كمرض اجتماعي يفتك بتماسك الأمة وترابط أفرادها أسبابه متعددة منها ما له علاقة بالظروف الاجتماعية السيئة ومنها ما له علاقة بالظروف السياسية والاقتصادية.

مبررات العنف:

كيف يمكن تبرير العنف؟

إن استخدام العنف له ما يبرره من الناحية البيولوجية حيث يعتقد بعض الدارسين بأنه يعود إلى غريزة العدوان الموروثة التي لا تفتر عن إلحاق الضرر بالآخرين وفي هذا يقول أحد المفكرين إن الإنسان مستعد وراثيا للقيام بأعمال عنيفة وهو عاجز أمام غرائزه أي طبيعته الخاصة التي ولد بها والتي تعود بشكل غير قابل أيضا إلى الخلافات الاجتماعات وإلى الصراع الطبقي، كما يرجع العنف حسب فرويد إلى الرغبات المكبوتة العدوانية الموجودة في اللاشعور أما كارل ماركس فيعتقد بأن المتسبب في ظهور هذه الآفة هو النظام الاجتماعي المبني على التفاوت الطبقي والفوارق الاجتماعية القائمة على الاستغلال السالبة لحقوق الغالبية ويمكن التأكيد بأن العنف ضرورة يتحقق من خلالها التغيير داخل المجتمع لأنه يستخدم لمجابهة ومواجهة المعتدين من المستدمرين والمحتلين وإلا كان ذلك الذي لا يعتدي بمثل ما أعتدي عليه مصنفا ضمن الجبناء والخونة والعملاء . يقول ماوو: "نقوم بالحرب من أجل السلم لا الحرب من أجل الحرب والعنف لا تبرره الغاية السامية فقط وإنما يبرره أيضا الدفاع عن النفس."

العنف واللاتسامح:

ضبط الإشكالية: هل فعلا أن العنف لايولد عنفا؟

- الموقف:

فهناك فريق من الباحثين يعتقدون بأن العنف لا يولد إلا عنفا، لأن مواجهة العنف بمثله يؤدي إلى عنف أشد وفتنة أعمق فمن الحكمة أن نتعامل بالتسامح والصفح الجميل والتقارب وتجاوز الضغائن والأحقاد والعدوان ونسيان الماضي المليء بالشحناء والتقرب إلى الشخص بالمحبة والمودة على أساس أن كل واحد تصدر عنه أخطاء وارتكابها من سمات الإنسان وإن الله عز وجل وحده الذي لا يخطأ ولا يصدر عنه الخطأ أما البشر فهم معرضون للخطأ. ودليلهم على ذلك تاريخي فالمستقرئ لتاريخ الكثير من الدول يجد أن بعضا منها حدثت فيها فتن داخلية وحروب أهلية نجم عنها عداوات بين الأشقاء ولم يتولد عن ذلك سوى أنهار من الدماء حيث حصدت الأرواح وتشرد الأطفال واختل توازن المجتمع وفسدت أحواله لكن في ظل تلك المصائب لم يتبين للمصلحين ودعاة الخير سوى تضييق مجال تلك الفتن بالصفح الجميل والعفو بينما دعاة الشر قابلوا ذلك بالمواجهة والتقتيل وكل يعلم أم من يقبل هو من أباء ذلك المجتمع فلولا التسامح والتآخي ونسيان

تلك العداوات لما تم القضاء على تلك الفتنة ولصار المجتمع في خبر كان ولما تلاشت الأحقاد والضغائن والكراهية في النفوس بين أبناء المجتمع الواحد. والتجربة التي عاشتها دولة لبنان وكذلك الجزائر دليل كاف على ذلك، فالرحمة والتسامح والوئام أهم الأدوات التي قضت على العنف فالمصلحة جمعت شمل الإخوان من جديد ومكنت المجتمع من الوحدة والترابط والتماسك أكثر بين أفراده.

النقـد:

إن موقف أنصار العنف ودعاة الشر لا يعترفون بالعفو والتسامح ويعتبرون أن هذا أسلوب الضعفاء والعاجزين الذين لا يملكون القدرة على مجابهة خصومهم وفي نظرهم أن كل مذنب ألحق الضرر بالغير وجب أن يدفع الثمن نظير ذلك حتى لا يتمادى في أذيته للآخرين فالعين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم في جميع الأحوال لكن هناك من يعتقد بأن مجابهة العنف بالعنف والقوة لا يترتب عنه سوى زيادة في النكد والكراهية والحقد وإنماء للروح العدوانية لدى الأفراد فتوازن المجتمع وصفاء الأشخاص واعتدالهم لا يتأتى إلا بالصفح الجميل والعفو عند المقدرة قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (سورة آل عمران الآية 134).

النتيجة:

ومنه نستنتج أن العنف لا ينجم عنه إلا عنفا فكيف يكون التسامح والعفو من الفضائل الأخلاقية؟

مفهوم التسامح:

التسامح لغة هو الصفح الجميل والعفو أما من الناحية الاصطلاحية فالتسامح هو العفو عمن أخطأ في حقك واعتدى عليك وألحق بك الأذى والضرر كما يمكن التأكيد بأن التسامح فضيلة أخلاقية تقترن بالقدرة على الرد على الآخرين والاعتداء عليهم بمثل ما اعتدوا وإلحاق الضرر بهم.

ضبط الإشكالية: هل التسامح مقيد أم مطلق؟

وأن التسامح والعفو من الفضائل التي تحسب لصاحبها فيوصف بالشجاعة إذا كان بين أشخاص عقلاء وأحرار ولا تجعل منه إنسانا ضعيفا كما يعتقد الكثيرون فلا بد أن نقابل الإساءة غير المقصودة من قبل الأصدقاء لا بالإساءة وإنما بالحسنى والعفو فالتسامح مفهوم

مفتوح بالتعايش الإنساني وقد كان الإسلام كرسالة سماوية سباقا لإرساء قواعده والتعامل بها بين أفراد المجتمع الإسلامي الواحد وفي التعاملات الدولية عامة فيجب مقابلة الشر بالخير وهذا ما يوافق التوجيه الإلهي قال تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾. (سورة البقرة الآية 237). فتاريخ الإسلام يقدم أمثلة ونماذج حية للتعايش السلمي بين المسلمين وأهل الذمة وموقف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أهل القدس عندما فتحها المسلمون دليل كاف على ذلك كما أن أخلاق إيمانويل كانط تؤكد أن التسامح قيمة أخلاقية وهو من الفضائل يطلب لذاته دون مقابل بعيدا عن الشروط وطلب المنافع ويجب أن نضع الأشياء في نصابها. فالتسامح يقتضي التراضي بين الطرفين وقبول أحدهما للآخر، كما يجب أن لا يكون شكليا أو صوريا وإنما تترتب عنه نتائج تؤكد نجاعته على أرض الواقع ومن جهة أخرى يجب أن لا يكون مقيدا وإنما مطلقا وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الألماني كانت لا يطلب لتحقيق مطالب ومصالح ذاتية وإنما لتحقيق مصالح تحمل طابعا جمعيا.

النتيجة:

وخلاصةالقول بأن العنف قد يكون ضرورة لمواجهة المعتدين وضد المحتلين وإلا حكم على الإنسان بالجبن والإسلام يضيف إلى ذلك مقاصد الشريعة الخمس حفظ النفس والدين والعقل والعرض والمال. لكن يمكن أن تكون له نتائج عكسية إذا لم يكن معبرا عن تلك الصورة التي سبق ذكرها فيؤدي إلى تنمية الأحقاد والضغائن بين الناس فتزيد الطين بلة مما ينجم عن ذلك تفرق المجتمع وفقدان قوته فيكون سهل المنال من طرف الأعداء، فالعلاقات بين الناس يمكن أن تحكمها حركة من التنافر والتجاذب وتسودها مظاهر العنف واللاتسامح لذلك إذا أردنا كمجتمع واع أن لا تذهب ريحنا ونكون أمة قوية يجب أن نقابل العنف باللاعنف واللاتسامح بالتسامح حتى وإن كان مع أعدائنا إذا لم يهددوننا في وجودنا واستمرارنا، فالدعوة لا تقوم على التعسير والترهيب وإنما على التيسير والترغيب.

KADI

المحتويات

KADI

#لحظة من الألم تصنع مجدا من النجاح

BAC 2017

27-03-2017

الفلسفة ملخص الدروس

شعبة الرياضيات والعلوم التجريبية





شعبة الآداب

رقم الإيداع : 3871 - 2012
ردمك : 9-97-952-9947-978



العنوان :
تجزئة العسل قسم 01 قطعة 410
المندرين ، المحمدية ، الجزائر
الهاتف : 48 41 20 021
الفاكس : 93 41 20 021
البريد الالكتروني :

